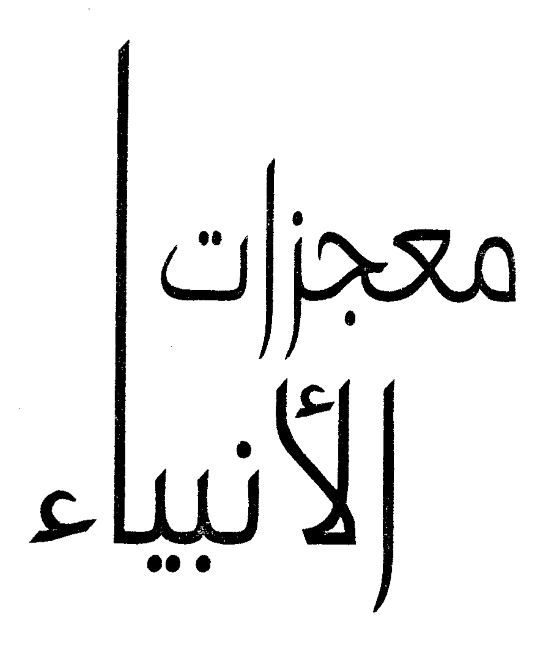
معجزات
الأنبياء



محمد إمام

الحرية
للنشر والتوزيع

الناشـــر



للنشر والتوزيع
3 ميدان عرابى ـ القاهرة
تليفون: 01223877921 ـ 01112227423
فاكس: 20225745679+
darelhorya@yahoo.com

التنفيذ الفنى



رقم الإيداع: 2013/15812
الترقيم الدولى: 8-78-5832-977-978

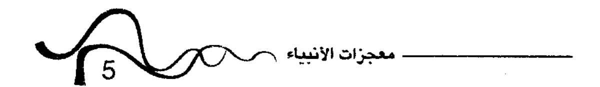


بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبى ﷺ المعجزات وعلى صحبه وعلى الأنبياء والمرسلين جميعا.

وبعد...

المعجزة هى خرق لقوانين الكون، ويؤيد الله سبحانه وتعالى بها رسله.

وقد يخلط الناس بين المعجزة والكرامة، ولكن هناك فرقا بينهما، فرغم أن كل منهما أمر خارق للعادة الا أن المعجزة يظهرها الله على أيدى الأنبياء والمرسلين، أما الكرامة فهى أمر يظهره الله على أيدى بشر غير الأنبياء.



وفى المعجزات عبر وايمان وعقيدة خالصة، وقد وجدت الحديث عنها شائقا مقبولا، فأسأل الله لى ولكم الأجر والقبول.

■ ■ ■

نــوح
فـــار التنـــور



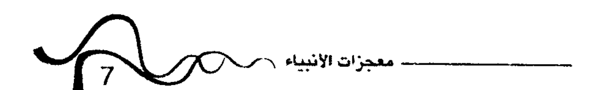
قال تعالى:

﴿فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا، انهم مغرقون﴾.

(المؤمنون: ٢٧)

١- الى من أرسل نوح

كل نبى أرسل لأمة، فموسى لبنى اسرائيل، ومحمد لقريش وللعالمين، وصالح لقوم ثمود، وهود الى قوم عاد، وهكذا. وأما نوح فلمن أرسل من القوم؟ أرسل الى أولاد قابيل بن آدم ومن تابعهم من ولد



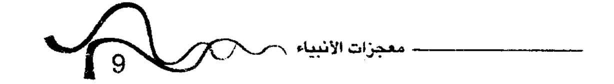
شيت بن آدم (العرائس للثعلبى) وقد تحدث المفسرون عن ذلك فقالوا: كان لآدم نسلان من أولاده أو قبيلتان احداهما تسكن السهل والوادى الأخضر والآخرى تسكن الجبل. وكان للرجال فى القبيلة التى تسكن الجبل جمال وروعة أما نساؤهم فكنّ ذوات دمامة وقبح. فالرجال أجمل من النساء كثيرا، أما القبيلة التى تسكن السهل والوادى فكانت نساؤها رائعة الجمال لا يستطيع الرجل أن يمعن النظر فيهن لشدة جمالهن، أما الرجال فكانوا على عكس ذلك فقد كانوا من القبح والدمامة بمكان فلا تطيق أن تعيش معهم من الدمامة والقبح.

واستغل ابليس هذه المفارقة العجيبة وأراد أن يخلطهما ببعض حتى تشيع الفاحشة بينهم، فنزل على رجل من أهل السهل، وجاءه على هيئة غلام ليعمل فى بستانه وزرعه، فاستأجره وجعله خادما له، فجاء لبليس بمزمار يحدث صوتا مثل مزامير الرعاة للغنم، وبدأ يحدث به صوتا عاليا ليسمع قبيلة الجبل

صوتا غريبا فجاؤوا على هذا الصوت، وأقاموا حفلا جعلوه عيدا كل عام يأتون اليه وبدأت نساء السهل تخرجن متبرّجات وهن على قدر من الجمال - فرآهن الرجال، وهرع رجل من الجبل الى أصحابه يحكى لهم عن الخبر فتحولوا اليهم ونزلوا معهم وظهرت الفاحشة الكبرى وحقق ابليس ما كان يريده، فلقد أقسم فى السماء ليغوينهم أجمعين الا الصالحين منهم والمؤمنين بالله عز وجل.

وكثر بنو قابيل وظهرت المعصية، وأكثروا الفساد وأصبح ابليس وأبنائه بينهم يفعلون بهم ما يريدون ويدعوهم الى المعصية فيستجيبون.

وقد كانت الفترة ما بين وفاة آدم ونوح عليهما السلام حافلة بالايمان والفساد وممن آمنوا وكانوا صالحين: ودّا ويغوث، ويعوق، وسواع، ونسر كانوا قوما صالحين وكان لهم أتباع يقتدون بهم. (تفسير ابن كثير سورة نوح).



وتذكر أن آدم عليه السلام له أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل، وود، كان ود يقال له: شيث ويقال له هبة الله، وقد جعله اخوته رئيسا وسيدا عليهم، وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر.

كان "ود" رجلا صالحا كما ذكرنا، وكان محببا فى قومه، فلما مات عكفوا على الجلوس حول قبره فى أرض بابل وحزنوا عليه حزنا شديدا وأصبحوا يزورون قبره بصفة دائمة، ورأى ابليس حالهم هذا وجزعهم عليه فأراد أن يستثمر هذا الضعف فيهم فتشبّه بصورة انسان ثم قال لهم: انى أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصوّر لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه به؟.

فقالوا: نعم.

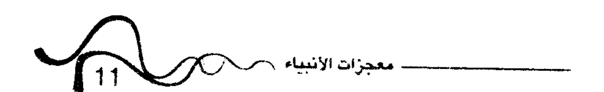
فصنع ابليس صنما مثل "ود" فوضعوه فى ناديهم فجعلوا يقدّسون الصنم ويذكرونه صباح مساء.

فلما رأى ابليس ذلك منهم واطمأن الى غيّهم قال لهم فى خطوة جعلته يتمكن من عقيدتهم ويفسدهم: قال: هل أجعل لكم فى منزل كل منكم تمثالا مثله ليكون له فى بيته فتذكرونه، وتعبدونه؟

قالوا: نعم.

فصنع لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا على هذه التماثيل الأصنام التى حملت اسم الرجل "ود" ولما جاء أبناؤهم أدركوا ما يفعله الآباء، جعلوا يقلّدونهم فيما يصنعون بهذ التماثيل من عبادة وتأليه، وتواليت بعد ذلك أجيالهم وأحفادهم فى عبادة الأصنام، ونسوا "ود" الرجل الصالح وجعلوه صنما يعبد من دون الله وبذلك استطاع ابليس أن يحول اسم الرجل الصالح الى رمز للوثنيّة والكفر، فكان "ود" أول ما عبد غير الله، وكان أول صنم يعبد من غير الله اسمه "ود". (قصص الأنبياء لابن كثير).

وقد أضل بهذه الأصنام كثيرا من الأمم فقد استمرّت فى عبادتها هذه الأمم قرونا عديدة حتى



الى زمان جاهلية العرب قبل الاسلام وقد قال المفسرون (ابن عباس فى تفسير ابن كثير): صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ذلك. فمثلا "ود" كان صنما لبنى كلاب بن الجندل، وأما سواع فكانت لهزيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف لأعند سبأ - وأما "يعوق" فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع وكلها قبائل عربية قديمة - وهى أسماء قديمة لرجال صالحين عاشوا فى زمن قبل نوح عليه السلام ما بين آدم ونوح.

وقد كان بين نوح وآدم عليهم السلام عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وقد جاء القرآ، بقوله تعالى: ﴿وما كان الناس الا أمّة واحدة فاختلفوا﴾ البقرة ٢١٣، كانوا على الهدر جميعا فاختلفوا، وزيّن لهم الشيطان عبادة الأصنام، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول نبى بعث نوح عليه السلام. تاريخ الطبرى.

٢ ـ مئات السنين:

ان الله تبارك وتعالى لما أجمع القوم على العمل بما يعصيه سبحانه عز وجل ويكرهه من خلقه من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهى عن طاعته عز وجل. لما رأى منهم كل ذلك أرسل نوحا اليهم وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، وقيل أربعمائة وثمانين سنة، ثم عاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين، وقيل انه دعاهم فى نبوته مائة وعشرين سنة. وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمئة وخمسين سنة. تاريخ الطبرى.

لبث نوح عليه السلام فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما كما قال الله عز وجل يدعوهم الى الله سرا وجهرا، فيمضى قرن (مئة سنة) بعد قرن، فلا يستجيبون له حتى مضى على ذلك ثلاثة قرون وهو يدعوهم جهارا نهارا ـ وهم من دعوته على حالهم، لا يسمعون له ولا يستجيبون. كان كلما دعاهم هجموا عليه وخنقوه حتى يغشى عليه، ويسقط على

الأرض مغشيا عليه، فاذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون، وكان هذا العمل يتكرر دوما سنوات وسنوات وقيل أن نوحا كان يضرب من قومه حتى الوهن والضعف والمرض ويلف فى ثياب كأنه مات، ويظن أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم مرّة أخرى. (العرائس للثعلبى ص ٤٧).

كان يخرج مرّة أخرى ومرات يدعوهم، حتى كان الآباء يقولون للأبناء: قد كان نوح مع آبائنا وأجدادنا، وأجداد أجدادنا - انه رجل مجنون لم يقبلوا منه دعوة دعاها ونحن لن نقبل دعوة يدعوها.

وذات يوم جاء رجل ومعه ابنا يتوكأ على عصا مما أصابه من الشيخوخة، فقال العجوز لابنه وهو يشير الى نوح:

أنظر يا بنى الى هذا الشيخ ايّاك أن يغرّك.

فقال الابن لأبيه: يا أبت أعطنى العصا التى تتوكأ عليها. فأعطاه أبوه الشيخ العجوز العصا التى كان يتوكأ

عليها وجلس على الأرض، فمشى الابن الى نوح عليه السلام، فضربه عدّة ضربات ولكن نوح عليه السلام لم ييأس وظلّ يدعو قومه عشرات ومئات السنين ولكن دون جدوى. (قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥).

دعا نوح قومه الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له، وألا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وأن يعترفوا بوحدانيّته، وأنه لا اله غيره ولا رب سواه. وقال لهم نوح:

﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾.

وقال: **﴿أن لا تعبدوا الا الله، انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾.**

وقال لهم نوح: **﴿ياقوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾.**

ترى بماذا أجابوا نوح بعد أن دعاهم الى الله عز وجل بكل أنواع الدعوة فى الليل والنهار، والسر

والعلانية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، فلم ينجح كل هذا، واستمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام، ونصبوا لنوح العداوة فى كل وقت وأوان، وتنقصوه وسخروا منه.

وقالوا له: **﴿انا لنراك فى ضلال مبين﴾**.

وقال لهم نوح: **﴿ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من ربّ العالمين﴾** أى اننى لست كما تزعمون من أنى ضال، بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين، أى الذى يقول للشىء كن فيكون.

ثم قال نوح: **﴿أبلّغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾**.

هكذا أجابهم نوح فى بلاغ وذكاء وكلام مقنع لا جدال فيه.

فقالوا له: **﴿ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنّكم كاذبين﴾**.

تعجب القوم أن يكون نوح بشرا رسولا، وتنقصوا ممن اتبعه وقالوا: انهم أراذلنا أى: الضعفاء منا، والأقل مكانة ومستوى منا، فنحن أفضل منهم مالا وحسبا ونسبا ولأنهم كذلك يا نوح: ضعفاء فقراء أراذل فقد استجابوا بمجرد ما دعوتهم اليه من غير نظر ولا رويّة ولا تمحيص.

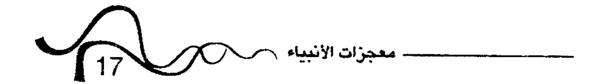
ونسى هؤلاء الكفار أن الحق ظاهر لا يحتاج الى رويّة ولا فكر ولا نظر.

وظلوا يعترضون ويجادلون نوحا ومن آمن معه، فقالوا:

﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أى: لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالايمان ولا ميّزة علينا.

واتهموه وقومه بالكذب وقالوا: **﴿بل نظنّكم كاذبين﴾**.

عند هذا الحد تحدث نوح عليه السلام بأنه صادق ولن يلزمهم أو يكرههم على شىء وأنه لا يريد



منهم أجرا على دعوته اياهم، وان طلبت أجرا فانى سأطلبه من الله الذى ثوابه وأجره أفضل مما عندكم وخير مما تعطوننى، ولن أطرد هؤلاء ولن أبعدهم عنى فقد آمنوا بربهم مهما عرضتم من اغراءات.

قال لهم نوح: ﴿**أرأيتم ان كنت على بيّنة من ربى وءاتانى رحمة من عنده فعمّيت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون**﴾ (هود: ٢٩).

وقال نوح: ﴿**وما أنا بطارد الذين ءامنوا، انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون**﴾. (هود ٢٩).

وقد تطاول الجدال والزمان بينهم وبين نوح عليه السلام، وكان كلما انقرض جيل منهم وصّ من بعده بعدم الايمان بدعوة نوح ومحاربته ومخالفته، وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل جلس اليه ووصاه فيما بينه وبينه، ألا يؤمن بنوح أبدا ما عاش وما بقى.

وقالوا: ﴿**يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا**﴾. (هود ٢٣).

ثم طلبوا معجزات ظنوا أن نوح لن يقدر عليها بأمر الله فقالوا: ﴿**فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين**﴾ (هود :٣٢).

وجاء ردّه الآخير: ﴿**ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم، هو ربّكم واليه ترجعون**﴾ (هود: ٣٤)

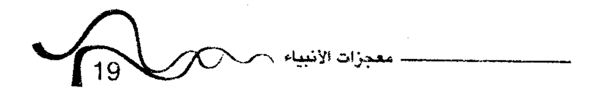
وجاء التأكيد من الله عز وجل أنه لا فائدة من هؤلاء فلن يؤمن منهم أحد الا من آمن. وقال الله عز وجلّ لنوح:

﴿**واوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**﴾ (هود: ٣٦).

وبدأ نوح عليه السلام ينتظر أوامر أخرى من ربّه.

٢ ـ بدء المعجزة الكبرى:

بدأت المعجزة الكبرى لنوح عليه السلام بحوار جميل بينه وبين ربّه وكان هذا الحوار بمثابة تقرير



كامل عما كلفه الله به من عمل جاء فى هذا الحوار الكريم:

﴿قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائى الا فرارا * وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى ءاذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا * ثمّ انى دعوتهم جهارا * ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا * فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ (نوح ٥-١١).

وظلّ نوح عليه السلام يذكر لقومه ما دعاهم اليه، ويصوّر لهم عظمة الله فى خلقه، ويبيّن لهم نعم الله عليهم - ولم يكن لهذا اجابة أو سبيل - فقد ضلوا ضلالا شديدا، وزاد فسادهم وخبثهم مع كثرة جدالهم واحساسهم بأنهم الأكثر فهما وعلما من نوح وهنا قدّم نوح عليه السلام نتائج عمله طوال مئات السنين وصبره على أجيال وأجيال منهم، فدعا ربه

أن يهلكهم حتى لا يفسدوا فى الأرض ويضلوا غيرهم ضلالا بعيدا وقال:

﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا * انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

وجاء الأمر الكريم الذى حمل فى طيّاته معجزات عظيمة.

قال الله تعالى لنوح عليه السلام:

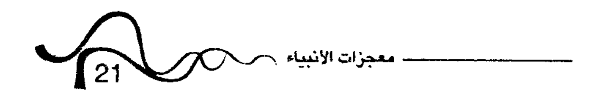
﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ (هود: ٣٧).

ولربما قال نوح: يا رب وما الفلك؟

فقال له: بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأريح أرضى منهم.

ربما سأل نوح عن الماء، وهو يعلم أن الله على كل شىء قدير.

وقيل ان نوحا سأل عن الخشب، فأمره ربّه بغرس شجر الساج كثير الخشب عظيم الأصول والفروع،



فأمره الله تعالى بذلك وظلّ يغرس ويغرس وانتظر أربعين عاما حتى أصبح الشجر غابات هائلة. وفى هذه السنوات توقف نوح عن دعوة قومه الى عبادة الله فلم يدعهم فأعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد، فلما كبر الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال: يا رب كيف أتخذ هذا البيت أى كيف أصنع هذه السفينة؟ فقال له: اجعله مائلا على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها متطابقة واجعل أبوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وارتفاعها فى السماء ثلاثين ذراعا. أورد هذا الثعلبى فى العرائس وقال أن هذا قول أهل الكتاب ـص ٤٧-٤٨ ـ

هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ـ يقصدون السفينة ـ ثم يضحكون.

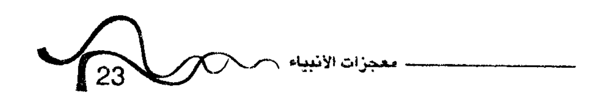
وقد جاءت صورة هذا المشهد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ**

من قومه **سخروا منه﴾** (هود: ٣٩)، أى يستهزئون به وقد استبعدوا أن يحدث ما توعّدهم به.

فيجيب عليهم نوح قائلا: **﴿قال ان تسخروا منا فانّا نسخر منكم كما تسخرون﴾**. (هود: ٣٩).

ثم أضاف موضحا ما توعّدهم بأنه وقومه سوف يسخر منهم ويتعجب منهم من استمرارهم على كفرهم وعنادهم الذى سوف يقتضى وقوع العذاب بهم وحلوله عليهم لاحقا (قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٨٠)، مؤكدا وقوع ذلك بقوله: **﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم﴾** (هود ٣٩).

وأوحى الله الى نوح عليه السلام أن عجّل صنعة الفلك، وانته من صناعة السفينة، فقد اشتد غضبا على من عصاه - عند ذلك استأجر نوح أجراء وعمّال يعملون معه فى صنع السفينة وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعلها ستمائة



وستين ذراعا للطول وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعا وطولها في السماء ثلاثة وثلاثين ذراعا وطلاها بالقار داخلها وخارجها بعد أن فجر الله له عين القار بجوار السفينة تغلى غليانا وشدّها بالمسامير الحديد وطلاها كلها بالقار، وجاء فى قوله عن المسامير الحديد: **﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾**.

وقد كان عيسى بن مريم يحيى الموتى بأمر الله، فقال له الحواريون: لو بعثت لنا رجلا من قبره يكون قد رأى سفينة نوح فيحدثنا عنها! فانطلق عيسى عليه السلام والحواريون خلفه حتى وصل الى كثيب من تراب، فأخذ حفنة من التراب وقال: أتدرون ما هذا التراب؟

قالوا: الله ورسوله أعلم!!

قال عليه السلام: هذا قبر حام بن نوح، فضرب التراب بعصاه وقال: قم باذن الله، فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه، وقد شاب شعره وأصبح

شيخا عجوزا، فقال له عيسى عليه السلام: أهكذا مت وهلكت؟

فقال حام بن نوح: لا، ولكنى مت وأنا شاب؛ ولكنى ظننت أنه الساعة (يوم القيامة) فشبت من الخوف.

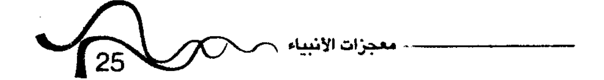
فقال عيسى عليه السلام: حدّثنا عن سفينة نوح.

قال: كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدواب والوحوش، وطبقة فيها الانس، وطبقة فيها الطير.

فلما كثر ارواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على روث الحيوانات. رواية الطبرى فى تاريخه عن ابن عباس ج ١ ص ١٨١ طبعة احياء التراث.

٤ ـ فار التنور:

انتهى نوح من السفينة فبناها، وأعدها كما يجب، وما بقى الا ايجاد البحر الذى ستبحر عليه وتتطهر الأرض بمائه من دنس الكفار.



حدّد الله مكان وزمان البداية بأمر عظيم وكريم، فجعل خروج الماء من التنور وفورانه هو بداية المعجزة الكبرى التى هزت الدنيا بأسرها، وقد كانت كلمة السر أو علامة السر هى فوران التنور، وقد قالوا عن فوران التنور عدة أقوال أولها: أنه طلوع الفجر وبزوغ الصباح.

وأشهر ما قيل فى التنور أنه مكان صناعة الخبز، وكان فرنا أو تنورا من حجارة، وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له: اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك. فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وقالت له: لقد فار الماء من التنور.

وقيل ان التنور فار فى الكوفة، وقيل بالشام فى موضع اسمه عين الورق، وقيل انه بالهند. تاريخ الطبرى ج١ ص ١٨٢ والعرائس للثعلبى ص ٤٨.

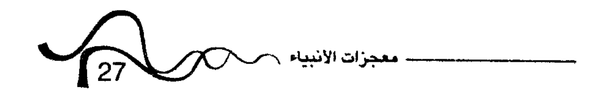
فلما رأى نوح فوران التنور علم أنها البداية، بداية هلاك قومه.

كان فوران الماء علما واخبارا لنوح عليه السلام ببداية معجزته كنبى ودليلا على هلاك قومه - كان الأمر الربانى من جزئين:

الجزء الأول: اشارة البدء المتفق عليها والموصى بها لنوح عليه السلام وهى فوران التنور.

أما الجزء الثانى فكان كما ذكرت الآية الكريمة: **﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن ءامن، وما ءامن معه الا قليل﴾** (هود: ٤٠).

وقد قال المفسرون: ان الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر، وسخرت له، فحمل كل منها كما أمره الله عز وجل: **﴿من كل زوجين اثنين﴾** وبدأ فى ادخال الحيوانات والطيور وكان آخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه أو ذيله فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا



يستطيع - حتى قيل ان نوح قال: ويحك ادخل وان كان الشيطان معك - كلمة زلّ بها لسان نوح فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه. فقال له نوح: ما أدخلك يا عدو الله - فقال الشيطان: ألم تقل أدخل ولو كان الشيطان معك؟!

قال نوح: أخرج يا عدو الله..

فقال: ما أخرج - وزعم المؤرخون أنه أى الشيطان كان فى الفلك. عرائس المجالس ص ٤٩.

وقيل ان الحيّة والعقرب أتيا نوح فقالا: احملنا فقال: انكما سبب الضرر والبلايا فلا أحملكما.

قالا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما (الحية والعقرب) من قرأ: **﴿سلام على نوح من العالمين * انا كذلك نجزى المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين﴾** لم يضراه أو يصيبه أذى أبدا.

وقيل ان نوح عليه السلام قال: يا رب كيف أصنع بالأسد والبقر، وكيف أصنع بالعناق والذئاب، وكيف أصنع بالحمام والقط؟

قال الله تعالى لنوح: من ألقى بينهم العداوة يا نوح؟

قال نوح عليه السلام: أنت يا رب العالمين.

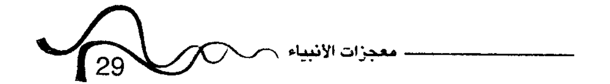
فقال عز وجلّ لنوح: فأنا الذى أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا ولا يضرّ بعضهم بعضا.

فحمل نوح عليه السلام السباع والدواب فى الطبقة الأولى.

فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر.

وجعل الوحوش فى الطابق الثانى من السفينة، وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا.

وهبط جبريل هليه السلام الى الأرض.. وحمل الى نوح عليه السلام فى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، بقرة وثورا، فيلا وفيلة،



عـصـفـورا وعـصـفـورة، نمرا ونمرة، قطا وقطة.. الى آخر المخلوقات.

كان نوح عليه السلام قد صنع أقفاصا للوحوش وهو يصنع السفينة.. وساق جبريل عليه السلام أمامه من كل زوجين اثنين، لضمان بقاء نوع الحيوان والطير على الأرض.

وهذ دليل على أن الطوفان أغرق الأرض كلها، فلولا ذلك ما كان معنى لحمل كل هذه الأنواع من المخلوقات حيوان وطير - أليف وغير أليف صعدت كل هذه الحيوانات والوحوش والطيور كما ذكرنا، وصعد الذين آمنوا مع نوح، قيل انهم كانوا ثمانين انسانا. ابن عباس ، العرائس ص ٤٩.

كان عدد المؤمنين قليلا.

فقد جاء تأكيد ذلك فى الآية الكريمة: **﴿وأهلك الا من سبق عليه القول ومن ءامن، وما ءامن معه الا قليل﴾**. (هود: ٤٠).



انتهى كل هذا وأصبحت السفينة جاهزة على الأرض. وانتظر نوح ومن معه أمر الله سبحانه عز وجلّ، وقد جعل الله فوران التنّور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال: اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى: **﴿حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور﴾**.

جاء أمر الله هنا أي: جاء عذابه وهو الطوفان الهادر.

لم تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد الى السفينة وهى أم أولاده كلهم وهم: حام وسام ويافث ويام، ويسميه أهل الكتاب كنعان، وهو الذى قد غرق فى الطوفان، فقد ماتت قبل الطوفان وقيل انها غرقت مع من غرق، وكانت ممن سبق عليها القول لكفرها. وقد نزلت فيها الآية الكريمة فى سورة التحريم فى قوله تعالى: **﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من**

عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾.

وبدأ الطوفن الهادر.. وما أدراك ما الطوفان الهادر..

جاء وصف الطوفان فى القرآن - حينما جاء أمر الله - وفار التنور فى الفرن الكائن فى بيت نوح عليه السلام.

قال القرآن الكريم عن الطوفان الذى سبقه دعاء نوح، قال نوح: ﴿**فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر**﴾.

ماذا حدث بعد هذا الدعاء؟ بدأ الطوفان الهادر بأمر من الله، اذ يقول الله عز وجل: ﴿**ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر**﴾، ﴿**وفجرنا الأرض عيونا**﴾.

أرسل الله من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده، وكان كأفواه القرب، وأمر الله الأرض فنبعت من جميع أرجائها.. آبارا وعيونا تضخ بالماء.

ارتفع الماء الى أعلى جبل فى الأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذى قاله أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا.

وعمّ جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير، وكان أهل ذلك الزمان قد ملؤوا السهل والجبل، فلم تكن بقعة على الأرض الا ولها ملك وصاحب وحائز. قصص الأنبياء لابن كثير ص ٧٣.

ارتفعت المياه من فتحات الأرض، لم تبق هناك فتحة فى الأرض الا وخرج منها الماء انهمرت من السماء أمطارا غزيرة بكميّات لم تر مثلها الأرض، ومضت ساعات وساعات وانفجرت حركة غير عادية، ارتفعت قيعان المحيطات ارتفاعات مفاجئة، واندفع موج البحار يكتسح الجزء اليابس من الأرض.

وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولى فى المياه.

لم تعد كرة أرضية، با أصبحت كرة مائية، لأن الطوفان أغرقها جميعا بالماء ولم يبق فيها أرض يابسة أبدا.

وقد ذكر أن الطوفان حدث فى شهر أغسطس، فى الثالث عشر منه. تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٨٩ ط المعارف.

وقد طغى الماء وارتفع الموج ارتفاعا هائلا، وقال عز وجلّ: **﴿انا لمّا طغا الماء حملناكم فى الجارية ۞ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾**

(الحاقة ١١-٢١).

كان كنعان بن نوح عليه السلام كافرا، ولم يكن نوح يعرف هذا عنه حتى جاءت لحظة الطوفان، وكان يتصوّر أنه مؤمن عنيد، اختار النجاة باللجوء الى الجبل، وكان ارتفاع الموج قد أنهى حوارهما قبل أن يعرف نوح أنه مؤمن وقد جاء هذا الحوار فى القرآن الكريم:

﴿وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنىّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ۞ قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء،

قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾.

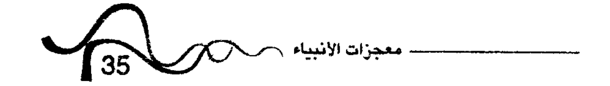
وعندما حال الموج بين نوح عليه السلام وبين ابنه، ولم يكن نوح قد تأكد من ايمان ابنه، ولم يعلم أنه من الكافرين. لجأ نوح عليه السلام الى ربه ترى ماذا قال نوح عليه السلام لربه

فى شأن ابنه. ذلك ما ترويه الآية المباركة فتقول:

ونادى نوح ربه فقال: **﴿ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وانّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾** (هود: ٤٥).

أراد نوح أن يقول لربه، أن ابنه من أهله، وقد وعده الله بنجاة كل أهله المؤمنين. فجاء الرد من الله عز وجلّ لنوح عليه السلام، ليكشف حقيقة هذا الابن الغريق.

قال تعالى: **﴿قال يا نوح انه ليس من أهلك، انه عمل غير صالح، فلا تسئلن ما ليس لك به علم، انى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** (هود ٤٦).



غرق الابن، وغرق أهل الكفر والطغيان، وبدأت رحلة العودة، الوعدة للأرض الطاهرة التى خلت تماما من الكفر والكفار.

جاء الأمر من الله: **﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك﴾** فتوقف الماء الذ كان يتدفق من العيون.

﴿وياسماء اقلعى﴾ فتوقف الماء المنهمر من السماء.

﴿وغيض الماء﴾ بمعنى أنه نقص، وانصرف عائدا الى باطن الأرض.

ورست سفينة نوح عليه السلام على الأرض، وهلك الظالمون، وقال رب العزة لنوح: **﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾**.

ورست السفينة، وهبط نوح عليه السلام، وأطلق سراح الطيور والوحوش فتفرّقت فى الأرض جميعا، وعلم نوح عليه السلام أن الأرض قد جفت ويبست من الماء عندما بعث غرابا يأتيه بالخبر، فوجد

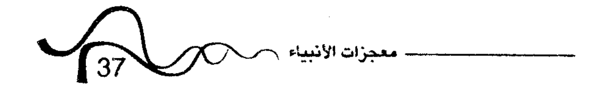
"جيفة" فظلّ يأكل منها واشتغل عنه بالأكل ولم يرجع اليـه فـدعـا عليـه بالخـوف ولذلك الغـراب لا يـألف البيوت. العرائس ص ٥١.

ثم بعث الحمـامـة فطارت وجـاءت عـائدة بغـصن زيتـون بمنقـارها وطين بـرجليـها فـعلم أن البلاد قد جفت وطوقها بالخضرة التى نجدها فى عنق الحمام أحيـانا ودعـا لهـا أن تكون فى أنس وأمـان فـمن ثم تألف البيـوت، ويربيهـا الناس فـلا تخـاف وتطيـر مسافات وتعود الى أصحابها.

هذه هى معجزة نوح ، لم تكن معجـزة التنور الذى فـار منه الماء وحـده وانما حـيـاة نوح ألف سنة الاخمسين معجزة.

وبناء السفـينة وما احـتـاجـه من زراعـة الشـجـر وانتظار خشبه عشرات السنين معجزة.

وركوب السـفـينة مع الحـيـوانات على اخـتـلاف أنواعها معجزة.

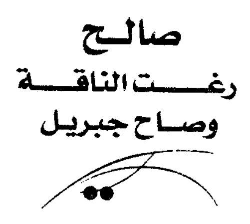


والطوفان الهادر معجزة، والهبوط معجزة.

انهـا مـعـجـزات النبى نوح عليـه السـلام وليـست قصة حياته

■ ■ ■

صالح
رغت الناقة
وصاح جبريل



قال تعالى:

﴿انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبّئهم أن الماء قسمة بينهم، كلّ شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابى ونذر * انّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر﴾ (القمر ٢٧-٣١).

١ ـ المعجزة:

ان الله سبحانه وتعالى عندما يؤيد رسله وأنبياءه بالمعجزات فانه لا يتحدى بها فردا واحدا، ولكنه يتحدى أمة بأكملها، انه يطلب منهم أن يستعين بعضهم ببعض ان استطاعوا، ولن يستطيعوا.

وحتى لا يقول الكفار: لقد جاء نبى يدعو الرسالة بشىء لم نتقنه ونبغ فيه، ولو تعلمناه لجئنا بمثل هذه المعجزة، جاءهم بشىء تعلموه بل ونبغوا فيه واشتهروا بفعله، ثم بعد ذلك تحداهم به، لكنهم يعجزون!!

ومعنى التحدى هو اثارة حماس القوى المعارضة لتفعل والقوى المعارضة هى الكفار، أو غير المؤمنين.

لقد تحدّاهم علنا، لتهيج نفوسهم أمام الناس، ويحاولوا قدر طاقاتهم أن يأتوا بمثل المعجزة ويحشدوا لها طاقاتهم، بل ويجنّدوا لها للرد عليها، ولكنهم مع كل ذلك، ورغم كل ذلك يعجزون.

واذا كان صالح عليه السلام قد احتاج من الله عز وجلّ معجزة، كى يعزز دعوته ورسالته بالحجة التى لا ترد فاننا يجب أن نعرف معنى المعجزة وما هى المعجزة؟

(ومعنى المعجزة أن يأتى الله سبحانه وتعالى على يد رسول من البشر بأمر خارق ليثبت بها صدق بلاغ

هذا الرسول عن الله عز وجل، فكان الرسول يقول: أنا لم أعرف بينكم بما نبغتم فيه، ولكنى أتيت بشىء لا تقدرون عليه. وأنا أتحداكم أن تجتمعوا جميعا وتستعينوا بعضكم ببعض.. ولن تقدروا على الاتيان بهذ المعجزة. وهذ دليل صدقى فى التبليغ عن الله.. ان أعــوزكم الدليل، وكنتم فى شك مما أقــول). معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد متولى الشعراوى.

نعود الى صالح عليه السلام الذى أرسله الله تعالى الى قوم ثمود، وثمود قبيلة كبيرة كانت تعبد الأصنام، فأرسل الله سيدنا صالحا اليهم، وقال صالح لقومه:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾.

(هود: ٦١)

قال لهم صالح نفس الكلمة التى يقولها كل نبى لقومه، هى هى لا تتغيّر ولا تتبدّل ﴿اعبدوا الله ما

مفاجأة لهم، لأنه يتهم آلهتهم ويقول أنها بلا قيمة، وهو ينهاهم عن عبادتها ويأمرهم بعبادة الله وحده، وأحدثت دعوته هزة كبيرة فى مجتمعهم وكان صالح معروفا بينهم بالحكمة والنقاء والخير. فكان يحظى باحترامهم جميعا قبل أن يوحى الله اليه ويرسله بالدعوة اليهم. ولذلك فانهم توجهوا اليه بالحديث فقالوا:

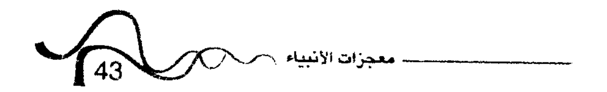
﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب﴾ (هود: ٦٢).

لقد استنكروا على صالح أن يقول هذا، وقالوا: هذا الرجل الذى كان لنا رجاء حسنا فيه لعلمه وعقله وصدقه وحسن تدبيره، يصدر منه مثل هذا الكلام، أيعقل هذا؟ لقد خاب رجاؤنا فيك يا صالح.. أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ وظلوا يستنكرون ما هو حق وواجب، ويدهشون أن يدعوهم أخوهم صالح الى عبادة الله وحده.

لم تكن لديهم حـجـج ولا براهين فى الرد على صالح، سوى هذا التفكير وهذه الكلمات، فقط هم غاضبون ومندهشون لأن الآلهة التى يريد أن يبعدهم عنها صالح كان آباؤهم وأجدادهم يعبدونها!!

حطم صالح عليه السلام جدار الجهل الذى يستظلون به وحطم العادات المهلكة والتقاليد البالية التى سيطرت على عقولهم عن التفكير نهائيا فما ان أثار صالح عليه السلام حركة هذه العقول لتفكر، وتتدبر أمرا بّينا واضحا، ما ان فعل هذا حتى استشاط غضبهم، واختلطت الحيرة بالغضب واليأس والطيش، فصاروا لا يدركون ما يقولون، لأنهم أمام خيارين اما تتفتح عقولهم وتقبل ما يقوله صالح عليه السلام أو يتركوا هذه العقول تتحجر وتقف عند أفكار السابقين وخرافاتهم، وأوهام العادات والتقاليد المستقرّة فى رؤوسهم حتى أنه تمكّنت لدرجة الجهل المطبق.

وكانت دعوة صالح لهم واضحة وضوح الشمس، فهى دعوة التوحيد فى صميمها، وهى اعلان مباشر



بحرية العقل وحرية التفكير وحرية الاختيار فهذه الحجج بين أيديهم الله واحد، خالق كل شيء، لا شريك له وهو النافع وهو الرازق وهو الرحيم ـ أمام حجر لا ينفع ولا يضر من صنع من يعبدونه، وهو من خلق الله سبحانه عز وجلّ.

وقد ساق صالح عليه السلام حججا يعيشونها فقال لهم: **﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾**.

ثم ذكرهم بالنعم فقال: **﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا﴾**.

وذكّرهم بنعم الله فقال: **﴿فاذكروا ءالاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾**.

أى انما جعلكم الله خلفاء من بعد قوم عاد لتعتبروا بما كان من أمرهم، وتعملوا بخلاف ما عملوا، وأباح لكم الأرض تبنون من سهولها قصورا، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين أى متميّزين وحاذقين فى صنعها

واتقانها واحكامها. فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح، والعبادة له وحده لا شريك له، وإيّاكم ومخالفته والعدول عن طاعته، فان عاقبة ذلك وخيمة. قصص الأنبياء لابن كثير ١٠٠-٢١٠.

ولهذا وعظهم صالح بقوله: **﴿أتتركون فى ما ههنا آمنين ❊ فى جنّات وعيون ❊ وزروع ونخل طلعها هضيم﴾**.

أى متراكم كثير حسن بهىّ ناضج.

ولما عارضوه وقالوا: انك كنت فينا عاقلا وحكيما الى آخر هذه الحجج الضعيفة التى يردون هم عليها دون أن يشعرون، لما قالوا ذلك تلطف صالح فى رده عليهم وآلان لهم الجانب، فقال لهم: **﴿يا قوم أرأيتم ان كنت على بيّنة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدونى غير تخسير﴾**.

قال لهم: فما ظنكم ان كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم اليه؟ ماذا يكون عذركم عند الله؟ وماذا

يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبـــون منى أن أترك دعاءكم الى طاعته؟ وأنا لا يمكننى هذا لأنه واجب علىّ لو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرنى منه ولا ينصرنى، فأنا لا أزال أدعوكم الى الله وحده لا شريك له، حتى يحكم الله بينى وبينكم. المصدر السابق.

ولكنهم بعد ذلك اتهموا صالح بأن له سحرا، أو أنه مسحور لا يدرى ما يقول فى دعائه لهم الى افراد العبادة لله وحده، وترك ما سواه من الأصنام والأنداد.

ظلوا يقولون له هكذا ويعارضونه يمينا ويسارا وصالح عليه السلام يدعو ليل نهار، ويأتى بالحجج من هنا والأخرى من هناك، لعلهم يرجعون عما هم فيه.

طلب منهم أن يستغفروا الله عسى الله أن يغفر لهم ذنوبهم، وطلب منهم أن يتوبوا اليه، ويقلعوا عما هم فيه ويقبلوا على عبادته، فان فعلوا ذلك، فانه عز

وجل يقبل منهم ويتجاوز عنهم وقال لهم: **﴿انّ ربّى قريب مجيب﴾**.

ولكن كل هذا دون جدوى، وأحس صالح عليه السلام أن الأمر قد صعب تماما، وأن الأمور تسير الى الاتجاه الأسوأ فكلما دعا هؤلاء تمرّدوا وتملّصوا وجادلوا فى أمر من أمور جاهليّتهم فى جدال لا ينقطع ولا تنفع معه الحجة والوضوح لأن الطرف الآخر الذى هو شريك فى هذا الحوار طمس الله على عقولهم، ولم يعودوا يتفكّرون فى أمر أو يتدبّرون شيئا أبدا كان لا بد لهم من معجزة تعجزهم وتخرس ألسنتهم، تكون خارقة فلا تتحرّك ألسنتهم بجدل أبدا، وجاء الحل على لسانهم فقالوا لصالح عليه السلام:

﴿فأت بآية ان كنت من الصادقين﴾.

طلبوا منه أن يأتيهم بخارق يدلّ على صدق ما جاءهم به.

٢ـ الناقة المعجزة

وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوما فى ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله، وذكّرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة، وأشاروا الى صخرة هناك ـ ان أنت أخرجت لنا منها ناقة ـ من صفاتها كذا وكذا وذكروا أوصافا فأسموها ونعتوها وتفننوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة.(قصص الأنبياء لابن كثير).

فقال لهم صالح عليه السلام وهو يعرفهم ويعرف طباعهم: أرايتم ان أجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقون ما أرسلت به؟

كان شرط صالح عليه السلام واضحا لاجدال فيه، فهم يطلبون ناقة تخرج من صخرة أمامهم، عشراء طويلة، بكل الأوصاف التى طلبوها، وهذ

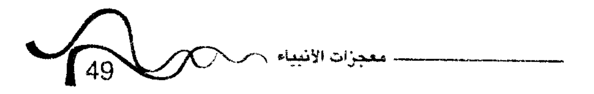
الأمر فى حدود تفكير البشر مستحيل، وقد طلبوه خصيصا لأنه مستحيل وظنوا أنهم بطلبهم المستحيل هذا يعجزون صالح.

هكذا وصلت حدود البشر ولا حدود لهم تتجاوز هذا الأمر.

أمّا صالح عليه السلام فقد استوثق منهم العهد ووضع الشرط وهو على يقين دائم بأن الله سبحانه عز وجل لن يخذله أبدا، ولم يتطرّق الى تفكيره أن ما يطلبونه مستحيل بل هو يسير على الله عز وجل فليطلب من ربه المعجزة اليسيرة على الله سبحانه، المستحيلة فى ظنهم.

وانتظر القوم، وجهزوا سخريتهم عندما يعجز صالح عن الاتيان بناقة تخرج من هذه الصخرة التى أشاروا اليها وهذا مستحيل فى ظنّهم وعرفهم ويقينهم.

اتجه صالح عليه السلام الى ربه، وقام الى مصلاه فصلى لله عز وجلّ ما قدّر له أن يصلى،



واتجه فى خشوع وايمان الى ربه بالدعاء، فطلب من ربه أن يجيبهم الى ما طلبوا، فكان منه الدعاء ومن الله الاستجابة.

استجاب الله عز وجل فأمر سبحانه جلّ شأنه تلك الصخرة التى أشاروا اليها أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه والشروط التى وضعوها، أو على الصفة التى نعتوا.

كانت الناقة آية ومعجزة من معجزات الله، لأن الآية هى المعجزة، ويقال أن الناقة كانت معجزة لأن صخرة فى الجبل انشقت يوما وخرجت منها الناقة وخرج وراءها وليدها الصغير، وولدت من غير الطريق المعروف للولادة، ويقال أنها كانت معجزة لأنها تشرب المياه الموجودة فى الآبار فى يوم فلا تقترب بقية الحيوانات من المياه فى هذا اليوم، وقيل انها كانت معجزة لأنها كانت تدر لبنا يكفى الناس جميعا فى اليوم الذى تشرب فيه الماء فلا يبغى الناس منه شبعا.

كانت هذه الناقة معجزة، ووصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**ناقة الله**﴾ (هود: ٦٤).

لقد أضافها الله لنفسه سبحانه عز وجل بمعنى أنها ليست ناقة عادية وانما هى معجزة من الله.

نعود الى صالح عليه السلام بعد أن بيّنا كيف كانت الناقة آية ومعجزة.

انفطرت الصخرة عن الناقة، وظهرت لهم مع وليدها. فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما، ومنظرا هائلا، وقدرة باهرة، ودليلا قاطعا، وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم، واستمرّ أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم.

قال لهم صالح عليه السلام: ﴿**ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**﴾.

وأصدر الله أمره الى صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بالناقة أو ايذائها أو قتلها، أمرهم أن

يتـركـوها تأكل مـن أرض الله، وألا يمـسـوها بسـوء، وحـذرهم أنهم اذا مدّوا أيديهم بالأذى للناقة فسوف يأخذهم عذاب قريب.

وقد أدهشت الناقة قـوم ثمود فى البداية، فـقد كـانت ناقة مـباركة.. كـان لبنهـا يكفى آلاف الرجـال والنساء والأطفال، وكانت اذا نامت فى موضع هجرته كل الحيوانات الأخرى، كان واضحا أنها ليست مجرّد ناقة عاديّة، وانما هى آية من آيات الله.

وعـاشت النـاقـة بينهم، فـآمن منهم من آمن وبقى أغلبهم على الكفر والعناد.

وكـان رئيس الذين آمنوا رجل يقـال له: جندع بن عـمـرو بن مـحـلاة وكـان من رؤسـائهم وأشـرافـهم. قصص الأنبياء لابن كثير.

وهمّ بقيّة الأشراف بالدخول فى دين صالح الا أن رجلا يقال له ذؤاب بن عمر ورجل آخر اسمه الحباب كان صاحب أصنامهم نهياهم عن ذلك.

ولما حذرهم صالح عليه السلام من أن هذه ناقة الله فلا يمسوها بسوء أبدا، تحسّروا على أن تبقى بين أظهرهم، ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوما بعد يوم، وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء فى يومهم المخصص لهم ليشربوها فى اليوم التالى يوم الناقة، ويقال أنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال: ﴿**لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**﴾.

وكانت الناقة فتنة لهم واختبارا عظيما لايمانهم ليرى ايؤمنون بها أم يكفرون؟ والله أعلم بما يفعلون.

وقد قال الله عز وجل لصالح: ﴿**فارتقبهم**﴾ أى انتظر ما يكون من أمرهم ﴿ **واصطبر**﴾ على أذاهم فسيأتيك الخبر على جليّة. وقال له عز وجل:

﴿**ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**﴾.

ورغم أنه كان واضحا أنهاليست مجرد ناقة عادية، وانما هى آية ومعجزة من معجزات الله، رغم

ذلك تحوّلت الكراهية عن سيدنا صالح الى الناقة المباركة!! تركزت عليها الكراهية، وبدأت المؤامرة تنسج خيوطها ضد الناقة.. كره الكافرون هذه الناقة العظيمة، وهذه الآية المعجزة، كرهوا ناقة الله وآية الله العظيمة، ودبّروا فى أنفسهم أمرا.

وقد كان طبيعيّا أن يجىء التدبير السىء من رؤساء القوم.

وقد ذكر المؤرخون وعلماء التفسير(الطبرى فى تاريخه): أن امرأتين من ثمود اسم احداها "صدوقة" ابنة المحيا بن زهير المختار، وكانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل مسلم آمن بصالح ففارقته وتركته، فدعت ابن عم لها يقال له "مصرع" بن مهرج بن المحيا، وعرضت عليه نفسها ان هو عقر الناقة، واسم الأخرى "عنيزة" بنت غنيم بن مجلز، وتكنّى أم غنمة أو أم عثمان وكانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء فعرضت بناتها

الأربع على قدار بن سالف، ان هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء، أى واحدة منهن يرغبها.

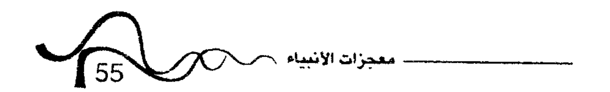
فابتدر وانتدب هذان الشابان لعقرها وسعيا فى قومهم بذلك، فاستجاب لهما سبعة آخرون فصاروا تسعة. وهم المذكورون فى قوله تعالى:

﴿وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون﴾.

وسعوا فى بقيّة القبيلة قبيلة ثمود وحسّنوا لهم قتل الناقة وكان لهم مجلس كبير.

فلما سقط الليل على مدينة ثمود. وانتصبت الجبال شامخة تحتضن البيوت المنحوتة فيها، وبدا واضحا للكافرين أن أحدا لا يمكن أن ينالهم بسوء.

وفى داخل أحد القصور أضيئت المشاعل، وجلس الكفار وقد دارت عليهم كؤوس الشراب وهم شبه دائرة. كل رؤساء القوم حضروا هذه الجلسة الخطيرة. انعقدت الجلسة ودار بينهم حوار طويل.



قال أحد الكافرين: ﴿**أبشرا منّا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر**﴾ (القمر: ٢٤).

وقال آخر: ﴿**أءلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر**﴾ (القمر ٢٥).

وعادت الكؤوس تدور وانتقل الحوار من صالح الى ناقة الله.

قال أحد الكافرين: اذا جاء الصيف جاءت الناقة الى ظل الوادى البارد فتهرب منه المواشى الى الحر.

وقال كافر آخر: واذا جاء الشتاء بحثت الناقة عن أدفأ مكان واستراحت فيه فتهرب مواشينا الى البرد وتتعرض للمرض.

وأصبح الجميع فى سكر كامل وكؤوس الشراب تدور وهى تهتز فى أيدى الشاربين، وأمر أحد الجالسين أن تكف المغنية عن الغناء حتى يستطيع أن يفكّر.. وصمت الجميع.

ثم قطع هذا الرجل السكّير صمت الحاضرين بقوله: ليس هناك غير حل واحد.

قالوا وما هو؟

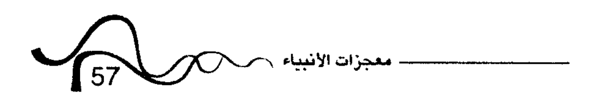
قال: نقتل الناقة، ثم بعدها نقتل صالحا.

وبدأ الحاضرون فى الحديث عن صالح بقول السوء فقال أحدهم: كم نتشاءم منه ونتطيّر، ومن ناقته ومن كل الذين أمنوا معه.

انه حل واحد نقتل الناقة، ثم نثنى عليه، طرح اسم القاتل، انه رجل جبار من جبابرة المدينة، رجل يعبث فى الأرض فسادا ولا يكف عن شرب الخمر والويل لمن يعترضه وهو مخمور، وله أعوان يساعدونه على القتل. ويستطيعون أن يكونوا أداة للجريمة ويختاروا مكان التنفيذ بأنفسهم.

٣ ـ ليلة المأساة

وجاءت ليلة الغدر، كانت الناقة المباركة تنام وهى تضم لصدرها طفلها الصغير الذى استدفأ بها،



واستعدّ المجرمون التسعة لجريمتهم وعلى رأسهم قدار بن سالف. لعنه الله، وخرجوا من جوف الظلام وفى نفوسهم الخيانة، وكان زعيمهم قدار بن سالف قد شرب كثيرا من الخمر، حتى لم يعد يرى ما أمامه وهجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت واقفة ونهض طفلها فزعا، وامتدت الأيدى القاتلة اليها للقضاء عليها، وكان أوّل من سطا على الناقة هو قدار بن سالف، فعرقبها أى ضربها فى عرقوبها فسقطت على الأرض، ثم ابتدروها بأسيافهم يقطعونها فلما رأى ذلك طفلها، شرد عنهم فعلا الى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات.

ولما علم صالح عليه السلام بما حدث خرج غاضبا على قومه، وقال لهم: ألم أحذركم أن تمسوا الناقة.

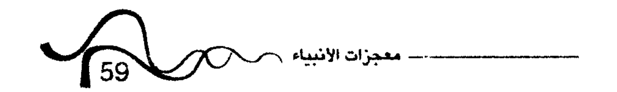
قالوا: قتلناها فائتنا بالعذاب واستعجله لنا ألم تقل لنا أنك من المرسلين؟

فقال لهم صالح عليه السلام: **﴿تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾** (هود: ٦٥)، أى غير يومهم ذلك.

فلم يصدقوه أيضا فى هذا الوعد الأكيد، بل انهم لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا، فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة، فأقسموا أن يهجموا عليه فى داره فيقتلوه ولكن الله حمى نبيّه صالحا عليه السلام منه ونجاه.

وقال الله عز وجل: **﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله ثم لنقولنّ لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانّا لصادقون﴾** (النمل: ٤٩).

وأصبحت ثمود اليوم الأوّل من أيّام النظرة الثلاثة ـ التى أنظرهم بها صالح ـ ووجوههم مصفرّة، فلما أمسوا قالوا: ألا قد مضى يوم من الأجل ثم أصبحوا فى اليوم الثانى من أيّام التأجيل، ووجوههم محمرّة وفى الثالث من أيّام المتاع اسودّت وجوههم. فلما



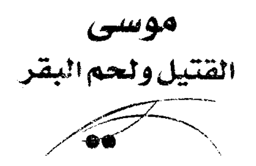
أمسوا قالوا: ألا قد مضى الأجل. وليس هناك شىء من العذاب.

وفى فجر اليوم الرابع انشقت السماء عن صيحة جبارة، انقضّت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شىء حى، وارتجفت الأرض رجفة جبّارة فهلك فوقها كل شىء.

هلكوا جميعا فى صرخة واحدة، أما الذين آمنوا بسيّدنا صالح فكانوا قد غادروا المكان مع النبى صالح عليه السلام ونجّاهم الله.

■ ■ ■

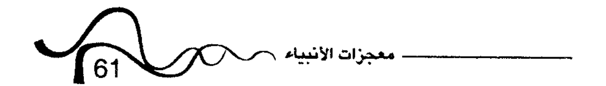
موسى
القتيل ولحم البقر



قال تعالى: ﴿**واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هى، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ولاعوان بين ذلك، فافعلوا ما تؤمرون**﴾ (البقرة ٦٧، ٦٨).

١ ـ آزر وراحيل

أعدّت راحيل الفراش لزوجها آزر بن حيلوت ليستريح من عناء التعب وراحت تسأله عن مغيبة بالأمس، وقد انتظرته طويلا فى كوخهما فقال آزر: لقد أحسست ثقلا ووجعا، فقضيت الليلة عند أحد



أصدقائى لعلى أصيب شيئا من الراحة، ولكنى أصبحت أشد تعبا.

فقالت راحيل: عما قليل ستشعر بالراحة تماما وما عليك الا أن تستريح وتحكى لنا ما صادفك فى رحلة السوق هذه المرّة.

فقال آزر: لا شىء يا زوجتى سوى التعب والشعور بمقدمات المرض، ولم أبع شيئا أو أشتر غير عجلة صغيرة عجفاء هزيلة قد يبلغ عمرها ثلاثة أشهر أو أربعة.. اشتريتها لولدى الياب.

راحيل: وأين هى؟.. وما قصتها؟

آزر: هى بقرة صغيرة ذات لون أصفر جميل يعمّ بدنها كلها، وقد وقع قلبى أن أشتريها.. وما ان اشتريتها حتى أقبلت تأكل ما قدّمت لها من الكلأ اليابس.. وهى الآن ترعى فى الغيضة القريبة منا.. ثم سكت قليلا وقال: وأنت كيف أخبارك؟ وكيف حال ولدنا الياب؟ أين هو؟

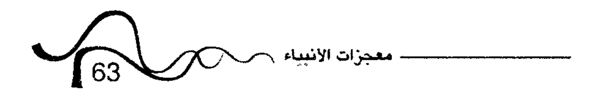
راحيل: يلعب مع صبيان القرية وهو بخير... وقد مرّ بنا نبى الله موسى عليه السلام وهو عائد من جبل المناجاة وقد دعا لولدنا الياب فقبّله.. ومسح على رأسه ودعا له بخير - ولكنه لم ينتظر كعادته.

آزر اذا كان لم ينتظر كعادته فلا بدّ أن بنى اسرائيل أحدثوا حدثا فى غيبته، فأخبره الله به، فرجع على هذه الحالة التى ذكرتها من الحزن والغضب.

راحيل: سمعت أنه ترك بنى اسرائيل يعبدون عجلا من ذهب صنعه لهم ساحر منهم اسمه السامرى.. فكلمت نبى الله موسى حين جاء فى ذلك فلم يجبنى بجواب.

آزر: هذا هو السبب، فما أشد ما يلقى نبى الله موسى من بنى اسرائيل.

قالت راحيل لزوجها آزر: ألا تقوم معى لترينى العجلة التى اشتريتها لولدنا الياب.



قام الرجل يتوكأ على عصاه وسار هو وزوجته حتى بلغا مكان العجلة، فنظرت اليها راحيل، فاذا لونها الأصفر الجميل يتألق كأنه ينبعث منه شعاع الشمس، فسرّت بمنظرها سرورا عظيما، وأحسّت كأنما تطالعها بفأل حسن، وأخذت تمر بيدها على جسمها وتمسح لها رأسها وفمها.. والتفتت الى آزر وقالت:

انظر يا آزر فانني أراها مقبلة على عشب الغيضة ولن تمضى عليها بضعة أيام حتى تمتلئ لحما.

وبعد قليل استدار الزوجان عائدين الى الكوخ..

قال آزر: انها حقا بقرة جميلة، وان قلبى يحدثنى أن ستكون خير المال أتركه لولدى الياب..

فاستاءت راحيل من اشارة آزر الى الموت وقالت: ولكنها تحتاج الى جهد ورعاية حتى تثمر ويجنى ثمرها. فهى ضعيفة عجفاء كما ترى.

فقال آزر: اعلمى أننى لا أورث ابنى الياب سوى تقوى الله عز وجل، وهو سبحانه يتولى الصالحين

وسيتولانى فى ولدى الياب، وسيبارك له فى مالى أو فى كنزى الذى تتهكمين به.. فاذا أنا فارقتكم فالتفتى لولدك، وعلميه قواعد الايمان وما ورثناه عن آبائنا: ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وما تلقيناه عن نبى الله موسى ولا تهتمى بأمر العجلة.. لا تحرثى عليها أرضا، ولا تسقى بها زرعا، ولا تركبى لها ظهرا، ولا تحلبى لها لبنا.. ذريها واتركيها مسلّمة فى الغيضة ولا تفكرى فيها فانها ستكون بعين الله. ومتى كبر الياب فاذكرى له شأنها.

عاد الزوجان بعد هذه الرحلة الى الكوخ، فدخل آزر الى فراشه وقد أحسّ بالتعب يعاوده من جديد، وتحدث مع زوجته فى أمور كثيرة تحدث معها عن خوفه من الموت وكرر لها الوصية بولده الياب والكنز الثمين وهو العجلة الصفراء العجفاء التى سيتركها له.

وقال لها: لقد كان حقا علينا أن نتحدث عن الحياة لا عن الموت والفرح لا الحزن، نعم هذا الصبح

سوف أحدثك عن الحياة والفرح وأقول لك اننى أحب أن يتزوج ولدى الياب رفقة بنت شمعون فان أباها من صلحاء شيوخ بنى اسرائيل..

وكان شمعون بن نفتالى هذا رجلا غنيا يملك الكثير من الغنم والبقر ويملك الذهب والفضة، وصاحب وصديق نبى الله موسى عليه السلام الذى لا يكاد يفارقه. وهو شيخ من العبّاد، وكثيرا ما كان يقول لآزر: لقد سميّت ابنتى الوحيدة رفقة تيمّنا باسم رفقة زوجة أبينا اسحاق نبى الله، وأتمنى على الله أن يكتب لها الزواج من شاب صالح.. ثم يقول: حبذا لو كان هذا الشاب هو غلامك الصغير الياب فانه يكبرها بعامين.

سعدت راحيل بهذا الكلام، وقالت: حبذا لو كان ذلك ان رفقة طفلة جميلة وستكون أجمل اذا ما كبرت..

وسعدت راحيل أيضا بحديث زوجها المتفائل عن الزواج والفرح ولكن المرض اشتد على الرجل، ولم يمهله وقتا طويلا فتوفى بعد عدة أيام.

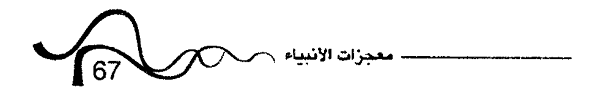
٢ـ زواج لم يتم

جاء رجل يقال له منسى بن اليشع الى صديقه شمعون بن نفتالى الرجل الغنى الصالح، وقال له: ان ناداب ابن أخيك صوغر قد أوفدنى اليك لأرجوك أن تزوجه ابنتك رفقة، وأرى أن تجيب رجاءه رعاية لقرابته ورحمه.

فقال شمعون على الفور وقد أشاح بوجهه: تكلم فى غير هذا يا منسى، ولا تخاطبنى فى هذا الماجن الذى قطع علاقته بربه.

وليكن فى علمك يا منسى أن ناداب لا يريد الزواج برفقة؛ انما يريد أن يرثنى.. ويريد أن تؤول تركتى اليه مع رفقة.. ولست أول من جاء ليخطب له ابنتى ومحال أن يكون ذلك.

فقال منسى: لك الحق يا شمعون، وانى أُقرّك وأوافقك على كل كلمة قلتها، وما حملنى على أن أكون رسوله اليك الا ما رأيته فى عينيه من الشر، فانى أخشى أن يقتلك ويؤذى ابنتك من بعدك.



فقال شمعون: هذا ما أشعر به يا منسى، وذلك ما أتوقعه من هذا الشرير، ومع ذلك فلن أزوّجها له، وليفعل ما يشاء.

صمت منسى لحظة ثم قال: ولكن عليك أن تدبر أمر ابنتك من الآن، وتختار لها بنفسك الشاب الذى تراه كفءا لصلاحها وعقلها.

قال شمعون: اخترت لها الياب ابن صديقى آزر رحمه الله. ولكنى لا أعرف أين يقيم، وأنا دائم البحث عنه، فاذا عثرت به زوجته اياها، انه الآن فى الثامنةعشر من عمره، وقد ورث كل ما نعرف لأبيه من خلال وصفات، لقد ورث الشرف والصدق، وصدق الايمان بالله.

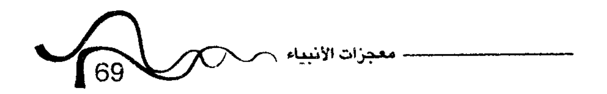
٣ ـ قتيل بنى اسرائيل

استيقظ بنو اسرائيل فى صبيحة يوم من أيام الله وقد وجدوا جثة شمعون بن نفتالى ملوّثة بالدماء وملقاة قرب محلة بعيدة عن المكان الذى فيه منزلته وعشيرته.

وقد دوى خبر مقتله دويا هائلا فى بنى اسرائيل وأثار ضجة كبيرة فيما بينهم لما كان له من حسن الخلق وجودة الرأى ووفرة الغنى وكثرة البر والصدقة.

وصار هياج بين الناس، وحزن الفقراء واليتامى والضعفاء، وقامت عشيرته بل بلدته كلها تطالب بدمه وتلقى وزر الجريمة على سكان المكان الذى وجدت فيه جثة شمعون بن نفتالى، وكان أشد الجميع مطالبة بدم شمعون هو "ناداب بن صوغر" ابن أخ شمعون، مظهرا الحزن والجزع لما أصاب عمه العزيز!

وكان أهل المحلة التى وجدت جثة القتيل قربها من أشد الناس حزنا عليه ولكن عشيرة "شمعون" القتيل وعلى رأسهم "ناداب بن صوغر" ظلوا مصرّين على أنه قتل بيد من فئة من أهل هذه المحلة واشتدوا فى المطالبة بدم قتيلهم.



وعلا الضجيج، وكثر اللغط، واشتد الجدل بين الفريقين، وأوشكوا أن يقتتلوا، فاجتمع شيوخ بنى اسرائيل ومن حولهم الغوغاء والعامة الى نبى الله موسى عليه السلام ليفصل بين الفريقين فى قضيّة دم القتيل.

واجتمع الناس فى مجلس يشبه مجلس القضاء أو المحاكمة وكأن الاجتماع فى ساحة واسعة امتلأت عن آخرها شيبا وشبابا، ورجالا ونساءا، وجاء أهل القتيل " شمعون" وجاء أهل البلدة المتهمة، وتكلم ناداب بن صوغر فى جزع وحزن مثبتا التهمة على القرية الظالمة وأدلى بما لديه من حجج، وأنكرت القرية تهمة القتل وأوّلت ذلك بما تكن للقتيل من حب ومعزة واحترام.

وانتظر الناس كلمة نبى الله موسى عليه السلام، فهى الفاصلة بينهم، فأنصت الجميع وأرهفت الآذان وتطاولت اليه الأعناق، واذا به يقول: ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

وسمع القريبون من موسى الكلام فدهشوا لها وعجبوا، وظهرت الحيرة على وجوههم وفى نظراتهم، أما البعيدون عن المجلس فلم يسمعوا غير أنهم رأوا الدهشة والحيرة على وجوه غيرهم فتصايحوا يريدون معرفة حكم نبى الله موسى.. وارتفعت الأصوات.

فوقف أحد الناس على مكان مرتفع وصاح بأعلى صوته وقال:

ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

وعندما سمع الناس قوله هاجوا وأحدثوا شغبا، وساد الهرج والمرج، واختلطت أصوات ساخرة بأصوات مستنكرة هذا الطلب وهذا الأمر. فهذا يقول: ما دخل معرفة القاتل بذبح البقرة؟

وآخر يقول: ان نبى الله يمزح.

وثالث ينادى بأعلى صوته قائلا: وهل هذا وقت المزاح؟

وقال ناداب بن صوغر: ان موسى يهزأ بنا. انه يتخذنا هزوا.

وسادت الفوضى فانسحب موسى من المجلس، وانفضّ الناس وهم يتندّرون بالبقرة التى يريد نبى الله ذبحها.

أما المؤمنون الأتقياء فقد طلبوا من الناس أن يكفوا عن السخرية والشغب وقالوا لهم: ان نبى الله موسى لم يقل شيئا من عنده، بل هو كلام الله الذى كلمه به، فهو يقول لكم: **﴿ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾** فكيف يكون هذا مزاحا؟

عليكم أن تتلقوا أمر الله بالطاعة والتسليم لا بالسخرية والشغب والتندر والمعصية.

وفى اليوم التالى جاء موسى عليه السلام الى مجلس القضاء وجلس بين المؤمنين الأتقياء، وتقدّمت اليه عشيرة القتيل وقالوا له: يا نبى الله أتتخذنا هزوا؟!!!

قال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وهنا وقف شيخ كبير صالح وقال: يا بنى اسرائيل لقد رضيت عشيرة القتيل، وعرفت أن نبى الله لا يتخذها هزوا وخصوصا أن القتيل كان من صالحى خلصائه وأصحابه.

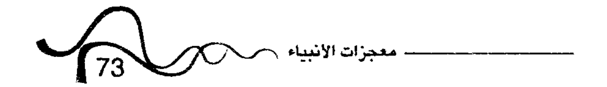
وبعد نقاش وحوار حول من يدفع ثمن البقرة قال أحد الشيوخ العقلاء: أرى أن يشترك فى ثمن البقرة كل رجال بنى اسرائيل، فالقتيل قتيلنا جميعا، وسلام الشعب لا يهم طائفة دون طائفة بل يهم الجميع.

سكت الناس ورضوا بهذا الحكم، ونظر الجميع الى نبى الله موسى.

فقال موسى: اذن فاجمعوا المال واشتروا البقرة واذبحوها طاعة لأمر ربكم.

وتلكأ القوم وقالوا: أى بقرة نذبح؟ ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هى.

وصمت موسى وأصغى لنداء الله فى قلبه ثم قال لهم: ﴿**إنه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**﴾ (البقرة ٦٨).



وسألوا وجادلوا عن لونها، وقالوا: لا بد أن نعرف لونها.

فتوجه موسى الى الله يسأله فسمع الاجابة فى صدره بأنها: **﴿بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين﴾**..

ولكن القوم جادلوا وأكثروا الجدال وقالوا لموسى: **﴿ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون﴾** (البقرة ٧٠).

وظل بنو اسرائيل فى شكهم فمنهم من يؤيّد ومنهم من يستنكر حتى أنهم قضوا عدّة أيّام يتجادلون، ثم ذهب صلحاء القوم وعقلاؤهم الى موسى يقولون له: انك مطالب بالفصل فى قضيّة دم القتيل شمعون فلا يشغلك عناد قومك عن هذه القضيّة فاسأل ربك عما يريدون.

فسأل موسى ربه، ثم اجتمع القوم ليسمعوا الاجابة:

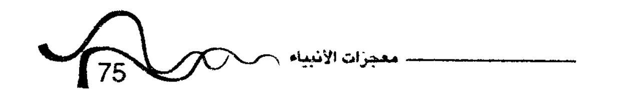
﴿قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلّمة لا شية فيها، قالوا الآن جئت بالحق، فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ (البقرة: ٧١).

أى أن هذه البقرة معفاة من الخدمة فهى غير مذللة لحرث الأرض أو سقيها، وليس فى جسمها بقعة أو علامة من لون يخالف لون جسمها الأصفر الصافى الفاقع.

اقتنع القوم وقالوا: **﴿الآن جئت بالحق﴾**.

وأخذوا يبحثون عن بقرة: لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك صفراء فاقع لونها، تسر الناظرين لا ذلول، تثير الأرض، ولا تسقى الحرث، لا شية فيها، فلم يعثروا عليها عند أحد من أهل القرى التى حولهم.

كانوا اذا وجدوا بقرة صفراء ردّوها لأن فيها شيئا من لون يخالف لونها الأصفر، فاذا وجدوها صفراء خالصة ردوها لأنها بكر أو فارض وليست عوانا بين ذلك، وهكذا دقق بنو اسرائيل فى البحث عن البقرة



التى تتكامل فيها الأوصاف المطلوبة. وقسموا أنفسهم مجموعات وفرق للبحث عن البقرة المطلوبة فى أنحاء شبه جزيرة سيناء الواسعة، وانتشروا فى الشمال والجنوب.

٤ـ بقرة الياب الصفراء

بلغ الياب الثامنة عشرة من عمره وأصبح فتى يافعا وجاءت أمه لتقول له: يا بنىّ لقد كبرت وبلغت سن الثامنة عشرة وصار لزاما على أن أدلك على الكنز الذى تركه لك أبوك.

دهش الياب وقال لأمه: كنز؟! ان أبى كان فقيرا فكيف يترك لى كنزا؟

قالت الأم راحيل: لقد ترك لك عجلة صغيرة منذ تسع سنوات وأوصى أن اتركها فى أرض الله لا أذللها بحرث أو سقى ولا أتعدها بحراسة فهى فى حراسة الله. وقال: اذا كبر الياب فادفعيها اليه.

فقال الياب لأمه: وفى أى مكان تركها؟

قالت راحيل: لا أدرى ولكنه قال: انها فى الغيضة الواسعة المجاورة لنا، فاذهب اليها وابحث عنها وسوف لا يطول بحثك لأن الله سيقبل بها عليك.

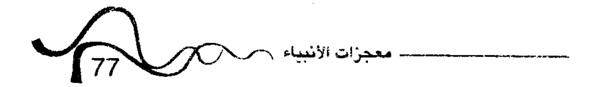
فقال الياب: ولكن ما لونها أو علامتها التى أعرفها بها؟

قالت راحيل: انها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين كأن شعاع الشمس ينبعث من جلدها، ليس فيها لون آخر غير هذا اللون الأصفر حتى ولا لون قرنيها وأظلافها.

خرج الياب للبحث عنها، وما هى الا ساعة واحدة حتى عاد بالبقرة الصفراء الجميلة وقد كبرت بعد أن كانت صغيرة وامتلأ جسمها باللحم بعد أن كانت هزيلة.

قال الياب: يا لها من كنز مبارك يا أمى..

قالت راحيل: ان ثمنها لا يزيد على ثلاثة دنانير، ولكن المال الحلال الصالح لا يقدّر بعدد، بل يقدّر بما



فيه من بركة، وبرّ وتقوى الله والنيّة الصالحة. من أجل هذا سمّاها أبوك الكنز.

فقال الياب: والمال الحلال الصالح يا أمى ينميه الله ببركة التقوى فيعد بالمئات والألوف. وما يدرينا لعل هذه البقرة ذات الدنانير الثلاثة تباع بالألوف التى لا تخطر لنا ببال!

٥ ـ البقرة المعجزة

ومضت أيّام، وبينما كان الياب جالسا مرّ به أعرابى يقول له: ان جماعة من بنى اسرائيل يبحثون فى لهفة شديدة عن بقرة تشبه بقرتك وقد دللتهم عليك وانى لأرى أنك لو رفعت ثمنها عليهم لأعطوك ما تريد ولو طلبت ملء جلدها ذهبا لأعطوك.

جاء القوم من بنى اسرائيل وقالوا لاليياب: لقد جئنا من عند نبى الله موسى فبعنا هذه البقرة ولا تزد فى سعرها.

قال الياب: ان كانت البقرة لنبى الله موسى فله من غير ثمن.

فقال قوم: ان شعب اسرائيل فقراء وقد أنهكتهم الصحراء فاقبل منا ما بأيدينا وليبارك الله لك فيه.

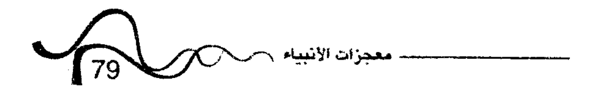
قال الياب: ان شعب اسرائيل ليس فقيراً، لقد صنع عجلا من الذهب ليعبده من دون الله فليس من الكثير عليه أن يدفع لى ما أريد.

استأذن أمه للذهاب مع القوم ليلقى نبى الله موسى وليتقاضى ثمن البقرة، وقال انه لن يطيل الغياب.

٦ـ معجزة الحق والعدل

اجتمع بنو اسرائيل لما سمعوا أنهم وجدوا البقرة، وجاؤوا يهرولون ويقولون: لقد وجدنا البقرة.. لقد وجدنا البقرة.

فلما سمع ناداب هذا الكلام وجاءته هذه الأخبار انعقد لسانه عن الكلام واصفرّ وجهه، ووجد نفسه



يقوم من مكانه مع أصحابه الى حيث يهرول الناس، فلما بلغوا ساحة القضاء وجدوه مكتظة عن آخرها بالناس ورأوا البقرة قائمة أمام نبى الله موسى، وأنه عليه السلام يقبّل الياب صاحب البقرة لما عرف أنه ابن الرجل الصالح آزر ويربّت على كتفيه ويقول له: لقد صرت رجلا والحمد لله، لقد مررت بك وأنت غلام صغير فمسحت على رأسك ودعوت لك بالخير.

وكان بالقرب منه منسى بن اليشع الرجل الذى جاء يخطب رفقة بنت شمعون القتيل لناداب ابن أخيه، وتذكر فى رغبة شمعون فى زواج الياب بن آزر منها، فدنا منه ورحّب به، وانحنى الى أذن موسى وأسرّ اليه كلاما لم يسمعه أحد، ثم ترك الجميع وهرول الى بيت رفقة ليخبرها أن فتاها الياب هو صاحب البقرة وقد حضر معها، أما نبى الله موسى فقد أمر بذبح البقرة، فذبحوها، فلما انتهوا قال: اقطعوا عضوا منها، فقطعوه.

فقال عليه السلام: فليحمل هذا العضو الياب فانه غريب وان كان اسرائيليا.

فحمل الياب العضو.

وقال موسى: هيا بنا الى قبر شمعون .

فذهبت الجموع تتدافع الى القبر فى زحام شديد، وكثرة هائلة وهم لا يدرون ماذا يريد نبى الله بهذا كله.

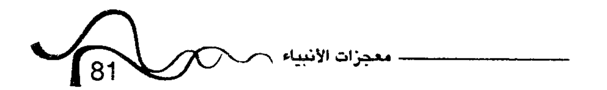
قال موسى: افتحوا القبر واخرجوا جثة القتيل، ونادى: يا الياب! اضرب القتيل بالعضو الذى بيدك.

وكانت الدهشة والعجب حين رأى الناس القتيل يعود الى الحياة، ويقف بين الناس بشرا سويّا.

فقال موسى: يا شمعون نسألك بحق الذى ردّ اليك الحياة أن تذكر لنا سم الذى قتلك.

فقال شمعون: الذى قتلنى هو ناداب بن صوغر.

وفى وسط ذهول الناس لهذه المعجزة، عاد شمعون الى الموت وأقبلت الجموع ثائرة على ناداب



تريد أن تفتك به، ولكن موسى قال: القصاص حكم الله.. فلنقم عليه حد القتل جزاء ما فعل.

وشهد الناس مشهدا عجيبا: شهدوا الياب يزف الى رفقة فى بيت أبيها. وشهدوا ناداب يندب حظه وهو يساق الى الموت.

تلك هى معجزة القتيل الذى ردّه الله الى الحياة ليشهد على قاتله.

ويقول الله عز وجل عن هذه المعجزة: **﴿فقلنا اضربوه ببعضها، كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾** (البقرة: ٧٣).

سبحان الله خالق المعجزات والآيات..

موسى والخضر والبحر

قال تعالى: **﴿فلما بلغ مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا * فلما جاوزاه قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**

× **قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله فى البحر عجبا ＊ قال ذلك ما كنا نبغ فارتداً على آثارهما قصصا ＊ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾** (الكهف: ٦١-٦٥).

اختص الله عز وجل موسى بنعم كثيرة، وكذلك اختص قومه بهذه النعم التى أنعم بها عليه، ولذلك فقد ظل موسى عليه السلام يشكر الله على نعمه.

وكان موسى يصلى لله شكرا على ما أعطاه من نعم، يتعبّده حمدا على ما وهب له، ويبتهل اليه أن يديم عليه رضاه وكرمه. وذات يوم سأل ربّه: يا رب؛ أأنا الآن الوحيد على وجه الأرض الذى حبوتنى بالعلم، وخصصتنى بالمعرفة؟!

فأجابه ربه: يا موسى انك لا تعلم الا ما شئنا نحن أن تعلمه، ولا تعرف الا ما أردنا لك أن تعرفه.

قال موسى متسائلا: يا رب، أيوجد من هو أعلم مني؟!

فأجابه ربه: لي عبد صالح يعلم ما لا تعلم، ويعرف ما لا تعرف.

قال موسى: يا رب، أين أجد عبدك الصالح هذا؟ لقد اشتاقت نفسي الى معرفته.

قال عز وجل: يقيم الآن عند مجمع البحرين.

قال موسى: يا رب؛ أريد أن أذهب لأراه، فأرشدني اليه، ووفقني للقائه.

قال عز وجل: اذهب وسأجعل لك من عندي آية تدلك وعلامة بيّنة ترشدك.

١ ـ البحث عن العبد الصالح

تهيأ موسى عليه السلام للذهاب لمقابلة العبد الصالح، الذي أرشده الله عز وجل اليه، فنادى يوشع بن نون فتاه المخلص وقال له: يا يوشع، اني عزمت على القيام برحلة، لا أدري: أتطول هي أم تقصر؟!!

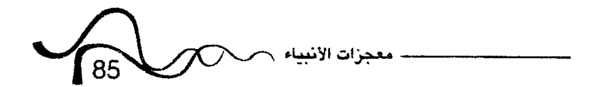
فهل لك فى أن تصحبنى فى تلك الرحلة التى لا يعلم الا الله مداها؟!

وكان يوشع بن نون هو الفتى الذى أحبّ موسى عليه السلام، وآمن به وأخلص له، ووهبه قلبه، وصحبه فى غدوّه ورواحه، ينهل من حكمة موسى عليه السلام، ويغترف من علمه، ويأخذ من معرفته.

قال يوشع: انى لك يا سيدى الصاحب الوفى والرفيق المطيع الأمين.

قال موسى عليه السلام: اذن، فلنتهيأ لرحلتنا من فورنا، ولنسر على بركة الله، فهو مرشدنا وهادينا الى سواء السبيل. وتهيأ موسى وفتاه للسفر وتزوّدا بزاد مما يتزود به عادة المسافرون، الذين يقطعون الصحارى، ويجتازون الفيافى والقفار، مثل الخبز الجف، والتمر اليابس، واللحم المقدد.

ولما جهزا جهازهما؛ سأل يوشع بن نون موسى: يا سيدى أى المطايا تركب؟ وأى القوافل تصحب؟ وأى الطرق تسلك؟!



قـال مـوسى: يا بنى، سـتكون مطيـتنا أرجلنا، وسيكون البحر صاحبنا، وسيكون شاطئه مسلكنا.

سأل يوشع متعجبا: والى أين نقصد؟!

قال موسى: نقصد مجمع البحرين، لأقابل رجلا من عباد الله الصالحين، أرشدنى الله اليه.

قال الفتى: وهل تعرف مجمع البحرين؟!

أجاب موسى: سيعرّفنى الله مجمع البحرين ويهدينى اليه.

* * *

٢ ـ رحلة البحث

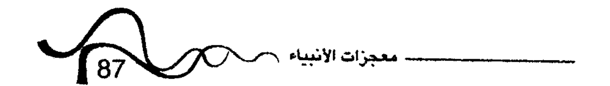
مضى موسى عليه السلام ومعه فتاه يوشع على شاطئ البحر، أياما وليالى، لا يكلان ولا يملان ولا يتأففان من طول سير، أو وعورة طريق؛ ولا يتوقفان الا لتناول غذاء، أو لأخذ قسط من النوم. ومرّ عليهما وهما على هذه الحالة وقت من الزمن، وموسى لا يزال كأول عهده بالرحلة: نشيطا، متشوقا

الى مقابلة عبدالله الصالح، ولم تفتر همته، ولم يدركه سأم، ولم يتطرّق الى نفسه ملل.

وسأل يوشع موسى يوما: يا ترى!! ألا يزال أمامنا مرحلة طويلة حتى نصل الى مجمع البحرين؟

قال موسى: لا أدرى !! ولكننى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين، أو أمضى حقبا.

واستمر موسى عليه السلام وفتاه يوشع يغذان السير فى البر، وهما على روح الثبات والنشاط حتى نفد طعامهما، فاصطاد يوشع حوتا من البحر حمله معه، ليتزودا من لحمه، ووصلا الى صخرة عظيمة فجلسا يستجمان بجوارها، ويستظلان بظلها، ويصيبان قسطا من الراحة والنوم. فلما نالا قسطا من النوم قاما يسيران ويسعيان، فما كاد ينصرم نهارهما هذا، ويمسى عليهما المساء حتى شعر موسى بتعب وفتور لم يعهده من منذ بدأ رحلته، وأحس أن قدميه لا تستطيعان حمله أكثر مما حملتاه، أحس كذلك أن أعضاءه قد وهنت وضعفت،



فجلس على الأرض، وقال لفتاه: **﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾** عسى أن يمدّنا الله ببعض القوة التى تعيننا بلوغ غايتنا.

حينئذ ضرب الفتى يوشع جبينه بيده، وصرخ صرخة مكتومة وقال لموسى: **﴿أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره﴾**.

قال موسى عليه السلام مستفسرا: وما بال الحوت؟!

أجاب يوشع قائلا: لقد تسرّب الحوت، واتخذ سبيله فى البحر عجبا.

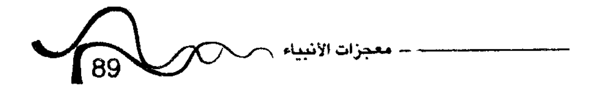
لقد هرب الحوت من السلة، ومضى فى طريق محدد الاتجاه الى البحر. تعجب موسى عليه السلام من كلام فتاه يوشع، وسأله وقد دبّت فى نفسه فرحة أمل، وابتسامة تفاؤل فقال: أفصح يا يوشع، ماذا حدث للحوت وما الذى حدث منه؟!!

قـال يوشـع: حـدث وأنت نائم، ان أفـقت أنـا من نومـى علـى صــوت السلة التى بهــا الحـوت، وكــانت بجانبى، ففتحت عينى، فوجدته ينزلق متدحرجا بين الصخور، فأسرعت خلفه لأعيده الى مكانه؛ ولكنى رأيت عجبا، ورأيت ما أدهشنى.

قال موسى فرحا مستبشرا: ماذا رأيت؟ عجّل بالقول!!

قال الفتى فى أسف وحسرة: رأيت الحوت قد غمره الماء، وخيّل الىّ أنه يتحرّك، ويتقلّب، كأن الحياة قد ردّت اليه، يضطرب فى سرب بين الصخور، خرج منه الى البحر، دون أن أدركه، أو أستطيع اللحاق به.

فلم يدهش موسى، ولم يتعجب، فقد لمس فى آيات الله له كل مقدرة، ورأى فى بيّناته له كل عجب. ولكنه سرّ وفرح، فقد أدرك أن بعث الحوت الميّت، وردّه حيا، هو آية الله التى وعده بها ليرشده الى مجمع البحرين، وعرف أن الطريق الذى تسرب فيه



الحوت هو الطريق الذى يؤدى الى عبد الله الصالح الذى ينشد لقاءه، فنهض نشيطا فرحا، وهو يقول لفتاه: **﴿ذلك ما كنا نبغ﴾** فهيا بنا نعود الى الصخرة.

هذه الحالة فى حد ذاتها بداية معجزات موسى عليه السلام التى وهبها الله له فى هذه القصة الجميلة.

وسنرى المعجزات العجاب حين يلتقى بالعبد الصالح.

فما أشرق الصباح حتى ارتدّ موسى عليه السلام وصاحبه فتاه يوشع يقصّان ويبحثان عن آثارهما وطريقهما الذى جاءا منه، حتى لا يضلا عن الصخرة التى نزلا بجانبها من قبل، وما زالا سائرين يتحسسان طريقهما الأول، حتى وصلا اليها؛ فقال موسى عليه السلام لفتاه يوشع:

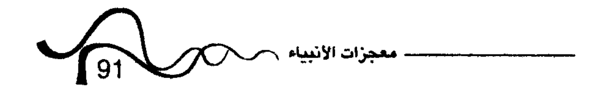
يا يوشع أرنى المكان الذى تسرّب منه الحوت ونفذ الى البحر.

فأشار يوشع لموسى الى سرب بين الصخور، وقال له: هذا هو الطريق الذى سلكه الحوت.

فنظر موسى عليه السلام الى حيث أشار يوشع، فوجده سربا بين الصخور يفضى الى البحر من ناحيته الأخرى، فنفذ منه ومن ورائه فتاه، فخرجا الى البحر من الناحية الأخرى للصخرة، ونظر موسى حوله، فرأى ما وعده الله حقا!! رأى ما حجبته الصخرة عن رؤيته بعظم رمها! رأى ماء البحر العذب يلتقى بماء البحر المالح.

ورأى بجانب الصخرة بساطا أخضر نضيرا من عشب أخضر، وقد جلس عليه شيخ جميل وضىء مهيب الطلعة، أبيض اللحية، وقد تربّع فى جلسته.

عندئذ عرف موسى عليه السلام أنه أمام العبد الصالح الذى وعده ربه بلقائه، وهو الرجل الذى علمه الله سبحانه وتعالى أشياء من علم الغيب الذى استأثر به.



وكانت هذه الثانية خطوة على طريق المعجزات فى هذه القصة المباركة، ترى بعد هذا اللقاء ماذا فعل موسى عليه السلام مع العبد الصالح؟ لنرى ذلك.

وتقدّم موسى من العبد الصالح وقال له:

السلام عليك يا حبيب الله.

فنظر الشيخ اليه، وقد أشرق وجهه، وردّ عليه السلام قائلا: وعليك السلام يا نبىّ الله.

ثم دعاه الى الجلوس بجانبه، فجلس موسى عليه السلام وهو يسأله دهشا مستعجبا: أوتعرفنى؟!

قال الشيخ: نعم، أولست موسى نبى اسرائيل؟

قال موسى وقد ازداد عجبه: من أعلمك عنى؟! ومن عرّفك بى؟!

أجاب الشيخ أعلمنى عنك الذى أعلمك عنى، وعرّفنى بك الذى عرّفك بمكانى.

فامتلأ قلب موسى هيبة من الشيخ، وايمانا به، وعلم أنه حقا فى حضرة رجل صالح قد اصطفاه

ربه، واتخذه وليّا وآتاه رحمة من عنده وعلما من لدنه. فقال يسأله فى تلطف وتودد:

﴿هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا﴾.

فابتسم الشيخ لموسى عليه السلام وقال له:

﴿انك لن تستطيع معى صبرا﴾.

قال موسى: سأصبر على كل ما تعلمنى اياه، وترشدنى اليه.

فهز الشيخ رأسه باسما، وقال: **﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾**.

يا موسى ان علمى الذى أعلمه غير علمك الذى تعلمه، لن تستطيع أن تصبر على ما يصدر من علمى، ولا تقدر أن تطيق ما تراه منى.

قال موسى: **﴿ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾** فقد صح عزمى على أن أكون تابعك لتعلمنى مما علمك الله وترشدنى الى ما أرشدك اليه.

حينئذ حط عصفور على حجر فى الماء، فنقر نقرة فى الماء ثم طار، فقال الشيخ:

أرأيت يا موسى ما أخذ العصفور فى منقاره من الماء؟!

والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطير بمنقاره من البحر. ثم قال:

﴿فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ وأفسر لك ما خفى عليك تفسيره.

قال موسى على الفور: لك علىّ ذلك.

وبدأت قصّة المعجزة، بل المعجزات فى هذه القصة فى ثلاثة مشاهد عجيبة، سيفسر أسبابها العبد الصالح فى النهاية فتكون معجزة حضرها موسى عليه السلام وتعلّم منها أنها معجزات علم الغيب.

٣ـ القصة الأولى

اصطحب العبد الصالح النبى موسى عليه السلام الى شاطىء البحر وكان يتبعهما يوشع، وعند

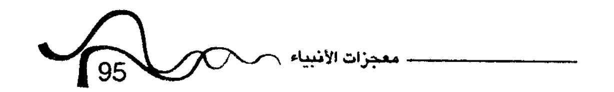
الشاطىء لاحت لهما سفينة سائرة فى عرض البحر، فأشار لها الشيخ بيده فاقتربت من الساحل وأطلّ رجالها منها يستفسرون الشيخ وموسى عما يريدان، فعرفوا الشيخ لأنهم يرونه دائما جالسا يتعبّد على ساحل البحر؛ وقال لهم الشيخ:

- نريد منكم أن تحملونا معكم الى حيث تقصدون وليس معنا ما ننقدكم اياه أو نقدمه لكم أجرا على ذلك.

فقال رجال السفينة: مرحبا بالرجل الصالح...

وركب الشيخ وموسى ويوشع السفينة، ورحّب بهم أهلها أجمل ترحيب وأكرمه، وتسابقوا الى خدمتهم.

ومضت السفينة فى طريقها سائرة بهم حتى قاربت أن ترسو على ميناء احدى المدن؛ حينئذ رأى موسى من الشيخ أمرا عجيبا! رآه قد أخذ فأسا من السفينة، واقترب من جدارها، وما زال يعالج بها لوحا من ألواحها حتى كسره، وخرقها.



فلم يملك موسى نفسه، وغضب لفعل الشيخ بالسفينة، لأنه رأى فى ذلك اساءة لأصحاب السفينة، وتعريضا لهم جميعا لخطر الغرق؛ فقال له والغضب بدا على وجهه:

ماذا فعلت؟

قوم حملونا بغير أجر وأكرمونا غاية الاكرام، عمدت الى سفينتهم فخرقتها، لتغرقها وتغرق أهلها؟! **﴿ لقد جئت شيئا امرا﴾.**

قال الشيخ: **﴿ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا﴾.**

تذكّر موسى على الفور وعده للشيخ ألا يسأله عما يرى منه، وعجب لما فعله الشيخ، وعما يربط هذا الفعل القبيح بالعلم الذى يعلمه، ولكنه لم يسمعه الا أنه قال للشيخ أسفا:

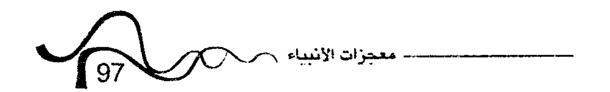
﴿ لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾.

ومـا لبثت السفينة أن رست بجـانب المدينة التى تقصدها، فنزل منها الشيخ وموسى، وأخذا يسيران فى المدينة. وقد بدا أن الشيخ يستعدّ لموقف آخـر أكثر عجبا من الموقف الأول وموسى عليه السلام لا يعلم شيئا عمّا يجرى ويخشى المناقشة حتى لا يتهم بعدم الصبر أو ينقض شرط الرجل الصالح، الذى قال له: **﴿فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾** فصمت موسى عليه السلام.

٤ - القصة الثانية

مضى موسى والعبد الصالح يتجوّل فى المدينة مع موسى عليه السلام ويدخل هنا وهناك، ويتردد بين شوارعها وطرقاتها ومسالكها.

ولكن موسى عليه السلام عجب أشد العجب وجزع أشد الجزع، عندما أتى العبد الصالح أمرا عجيبا وفعلا نكرا.. ترى ماذا فعل الشيخ العبد الصالح؟



لقد اقترب من غلام كان يلعب فى الطريق، فجذبه بيده، ثم أمسك بعنقه بكلتا يديه، وما زال يضغط عليه حتى قتله.

أصبح الأمر لا يحتمل بالنسبة لموسى عليه السلام فهو يرى جريمة قتل مروّعة أمامه، فنظر الى ما فعل العبد الصالح متعجبا ثم ذاهلا، ثم خرج من عجبه، وأفاق من ذهوله، ساخطا مستنكرا غضبا، وصرخ فى الشيخ قائلا:

يا رجل ما فعل هذا الغلام حتى تقتله؟! **﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾** فقال الشيخ فى هدوء: **﴿ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا﴾**.

هدأ موسى عليه السلام، وسكّن من غضبه، وتحيّر فى أمر هذا الرجل الصالح الذى اتبعه لهدف واحد وهو أن يستزيد من علمه، فلم يجد عنده حتى الآن شيئا من ذلك، بل انه يأتى أفعالا منكرة لا

يرضاها علم، ولا تقرّها شريعة، ولكنه لم يسعه الا أن قال للشيخ: **﴿ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنّى عذرا﴾** يحق لك به ترك مرافقتى، والانصراف عن صحبتى.

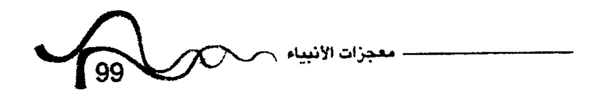
٥ ـ القصة الثالثة

خرج الرجل الصالح وموسى من تلك المدينة، وضربا فى الأرض حتى وصلا الى مدينة أخرى، وكانا قد جاعا وتعبا، فسألا أهل المدينة ضيافة وطعاما، فلم يجبهما أحد الى ذلك، وكان كل من سألاه ضيافة يقول لهما: اننا لا نضيف الغرباء الا بأجر. وكل من يسألاه طعاما يقول لهما: اننا لا نعطى طعاما بغير ثمن.

ولما نال من موسى التعب مبلغه، جلس هو وفتاه يستريحان فى ظل جدار منزل.

ودعا موسى الشيخ الى الجلوس معهما ليستريح من عناء السير، ولكنّ موسى رأى شيا عجيبا يثير الدهشة.

ترى ما هذا الشىء؟



لقد رأى الشيخ يتقدم من الجدار الذى بالقرب منهما - وكان جدارا قديما يوشك أن ينقض، فيفكك أحجاره المتخلخلة، ثم يجمع من الطريق ترابا، ويعجنه بالماء، ويصنع منه طينا يعيد به تثبيت الأحجار فى أماكنها، حتى أعاد اقامة الجدار متينا ثابتا من غير أن يطلب منه ذلك أحد.

فدار بخلد موسى أن الشيخ يفعل ذلك لينال عليه أجرا يمكنه أن يشترى به طعاما من أهل المدينة التى لا تضيف غريبا الا بأمر، ولا تطعم جائعا الا بثمن.

وما ان انتهى الشيخ من عمله، حتى طلب من موسى أن يتبعه ثم انصرف عائدا ولم يطلب من أحدا شىء أبدا!!

فقال له موسى بدهشة: ولم اذن أقمت الجدار؟!

لقد كان جدارا مهدما فأصلحته، ومائلا فأقمته، فلم لا تطلب من أصحابه أجر ما فعلت؟! **﴿لو شئت لتّخذت عليه أجرا﴾**.

عند ذلك نظر الشيخ الى موسى، وقال له: ﴿ **هذا فراق بينى وبينك**﴾ .

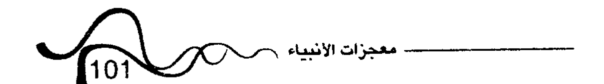
انتبه موسى، وأدرك أنه تجاوز الشرط المبرم بينه وبين الشيخ ألا يسأله عن شىء حتى يذكره هو له، وأدرك موسى أنه قد حق عليه فعلا فراق الشيخ، لأنه لم يستطع أن يضبط نفسه من السؤال، ولا أن يكف لسانه عن الكلام، وكان ذلك نزولا على حكم الشرط الذى اشترطه للشيخ على نفسه.

فقال موسى للشيخ أسفا: حقا لقد عذرت معى، فما استطعت أن أكبح نفسى عن السؤال، ولا أن أردّ لسانى عن الكلام، ولا أن أصبر على ما رأيته يصدر منك من الفعال.

فقال الشيخ ملاطفا:

لا تأسف ولا تحزن، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.

فقال موسى فرحا متشوّقا: هات حديثك فانى متشوّق اليه.



فقال الشيخ: هيا بنا نتخيّر مكانا نجلس فيه، لأفسّر لك ما خفى عنك، وأشرح ما غمض عليك.

وعندما يكشف العبد الصالح سر المواقف الثلاثة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار فى قرية بخيلة لا تطعم ولا تسقى، سنرى المعجزات التى كشف لموسى عنها، وليعلم أن ما عنده من علم فهو قليل.

٦ـ معجزات علم الغيب

بادر موسى على الفور العبد الصالح بالسؤال فقال له:

ما أمر السفينة؟

فأجاب العبد الصالح:

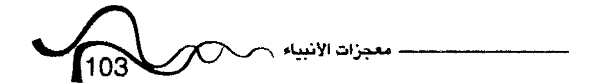
أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر، وهم شركاء فيها، وهم شركاء كذلك فيما تحمل من تجارة قليلة ضئيلة، يبادلونها بتجارة ثانية، ويتقاضون بها سلعا أخرى فيما يمرون به من البلاد، ويرسون عليه من المدن.

قال موسى: ولم اذن خرقتها وحال أصحابها على ما تصف من الفقر والضعف، وقد أكرمونا وأحسنوا الينا، وأجهدوا أنفسهم فى ضيافتنا؟!

قال الشيخ: أردت أن أعيبها، فإن المدينة التى رست عليها بها ملك ظالم جبار يرسل أتباعه يفحصون السفن التى ترسو بمدينته، ويختبرونها، فالسفن التى على حالة جيّدة يأخذها من أصحابها غصبا، ويسلبها قوة واقتدارا، أما السفن المعطوبة التى بها عيب، أو التى أصابها تلف فإنه يتركها ولا يأخذها.

فاتضحت الحقيقة، وظهرت المعجزة أمام عينى موسى عليه السلام، معجزة علم رآه يفوق حتى خياله.

وقال للشيخ ضاحكا: لذا خرقت أنت السفينة فعبتها حتى لا يأخذها من أصحابها المساكين هذا الملك الظالم؟



قال العبد الصالح: نعم فعلت ذلك، لكى يتركها الملك الظالم، فيستطيع أصحابها بعد ذلك أن يصلحوها ويرتزقوا منها.

فتخيّل موسى عليه السلام أصحاب السفينة، وهم غاضبون ساخطون حين يكشفون عن العطب الذى أصابها، ولكنهم لو علموا ما كان مخبأ لهم، كما عرفه موسى من العبد الصالح لفرحوا وحمدوا ربهم على ذلك فربّ مصيبة فيها الفرج.

ثم قال موسى للشيخ: وما سبب قتلك الغلام؟!

أجاب الشيخ: أما الغلام فكان أبواه مؤمنين، وكان هو كافرا طاغيا ضالا، **﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾** يؤذيهما اذا عصياه ببذاءته وفساده، ويؤذيهما اذا اتبعاه بكفره وضلاله.

قال موسى: لقد أراح الله منه أبويه، وجنبهما شرّ السقوط فى معصيته ولكنهما لا يشعران بنعمة موت هذا الابن الضال، ولا يحسان الا بشدّة وقع وفاته، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.

قال الشيخ معقبا على هذا الكلام: نعم، فسيبدلهما ربهما خيرا منه زكاة، وأصلح منه دينا وأحسن منه خلقا، وأقرب رحما.

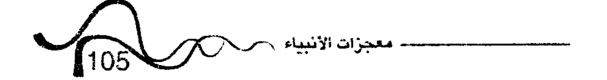
قال موسى: ان الله على كل شىء قدير، يشمل برحمته من يشاء.

أجاب الشيخ: أما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة، وكان تحته كنز لهما، خبأه لهما أبوهما قبل أن يموت، وكان أبوهما صالحا مؤمنا تقيا، فأراد ربّك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك.

قال موسى متسائلا: فأقمت الجدار خوفا من ضياع الكنز؟

أجاب الشيخ: نعم ليبقى الكنز مصونا من أيدى العابثين، حتى يشب الغلامان فيستطيعا أن ينتفعا به فى حياتهما ومعاشهما.

عند ذلك ظهرت المعجزات وحقائق العلم الخفى الذى يعلمه العبد الصالح لموسى، وأدرك أن ما خفى



عليه كان علما ظاهرا لهذا الرجل (العبد الصالح) وأن ما استتر عنه كان معرفة واضحة أمام الشيخ، فاختصّ موسى حين أراد أن يعلمه ربه بهذه المعجزات العظيمة.

معجزات البحر وعيون الماء

البحر ينشق نصفين

قال تعالى: **﴿فأحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين * ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾**. الشعراء (٦٣-٦٧).

تعدّد ت معجزات موسى عليه السلام مع البحر والنهر وعيون الماء وقد وهب الله موسى هذه المعجزات كى يمكّن المؤمنين من دعوته وينصر موسى عليه السلام على أعدائه، ولكى تكون هذه المعجزات عبرا ايمانية ودروسا تستجيب أمامها العقول

المتحجرة، ولو نظرنا لموسى عليه السلام، نجد أن حياته بدأت بصندوق حمله فى نهر النيل الى أن وصل الى قصر فرعون، فحملته آسية امرأة فرعون وتربّى موسى عليه السلام فى قصر فرعون على ضفاف النيل.

ومعجزة موسى مع البحر بدأ بغباء فرعون وقومه، فأرسل الله عليهم آيات العذاب كالجراد والضفادع، ثم وقعت آخر آيات العذاب الدنيوى، وهى آية الدم.

لقد تحوّلت مياه النيل الى دم لا يستطيع أن يسيغه أحد وكانت آية جديدة على قوم فرعون اذ أن الآيات السابقة كانت من النوع المعروف فى البيئة الزراعية، التى تقوم حياتها على النهر، سواء أفاض النهر أم أمسك عن فيضانه.

أما آخر الآيات التى عذب بها قوم فرعون فهى الدم، وهذا لون جديد لم تألفه البيئة المصرية، لقد

تحـولت مـيـاه النيل الـى دم، وتمّ هذا التـحـوّل الى المصـريين من أتبـاع فـرعـون، فكان مـوسى وقـومـه يشـربون مياها عـاديّة، وكان أى مصـرى يمـلأ كـأسـه ليشرب، يكتشف أن كأسه مملوء بالدم.

كـانت هذه الآية من آيات العـذاب بمثـابة صـدمـة اهتز لهـا المصريون وقصـر فـرعون، انهـا آية رهـيبـة وكارثة ضخمة.

ولم يجدوا أمـامهم مـلاذا يتوسّلون اليه ليتخلصوا من عـذاب هـذه الآية الرهـيـبـة سـوى مـوسى عليـه السـلام فذهبوا يتوسلون اليه ويرجونه أن يدعو ربه، وقـالوا انهم مـقـابل ذلك سـوف يطلقـون سـراح بنى اسرائيل هذه المرّة بعد أن رفضـوا خروجهم ومنعوهم قبل ذلك مرّات ومرّات.

اسـتـجـاب مـوسى عليـه السـلام لتـوسـلاتهـم التى طالما كـرروهـا فى مـواقف عـدة ولم يوفـوا بعـهـودهم أبدا، ودعـا مـوسى ربه فـانكشـف عنهم العذاب، وعـاد

الماء صافيا، فشربوا منه وارتووا، ولما حان تنفيذ وعدهم والوفاء بعهدهم الذى عاهدوه موسى عليه السلام رفضوا، ورفض فرعون أن يسمح لموسى باصطحاب قومه من بنى اسرائيل والرحيل بهم وزاد الأمر تعقيدا، أن فرعون تشدد أكثر فى كفره، واشتد فى الهجوم على موسى، وأعلن بين قومه أنه اله، وقال: اليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار التى تجرى من تحتى؟ وأعلن فرعون أن موسى ساحر كذاب، وأنه رجل فقير لا يملك مالا ولا يملك أسورة واحدة من الذهب.

وقد قصّ القرآن كل هذا المشهد المثير فقال عز وجل:

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين ۞ فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ۞ وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها، وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ۞ وقالوا يا أيّه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا

لمهتدون ※ فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ※ ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ※ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ※ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ※ فاستخف قومه فأطاعوه، انهم كانوا قوما فاسقين﴾ (الزخرف ٤٦-٥٤).

هكذا بدا فرعون متجبرا مغرورا، وبدا واضحا لموسى عليه السلام أن هذا الفرعون وقومه لن يؤمنوا مهما أعطوا من عهود، وأن فرعون لن يكف عن تعذيب بنى اسرائيل، والاستخفاف بهم. شعر موسى عليه السلام أنه لا فائدة من هؤلاء، ومن كبيرهم الفرعون. لقد أغلقوا عقولهم فى وجه الايمان، وأغمضوا عيونهم لكى لا ترى جمال الخالق وعبرة خلقه الماثلة أمامهم.

وجاء الدعاء من موسى عليه السلام، جاء هذه المرّة غاضبا ساحقا لا رجعة عنه، وقف مع أخيه هارون وقد شاركه هذا الاحساس بأنه لا فائدة من

هؤلاء، رفع موسى يده الى السماء ورفع هارون يده الى السماء ودعا كل منهما ربه فقال: وقال موسى: **﴿يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام، فسوف يعلمون﴾** (الزخرف: ٨٨-٨٩)

وقد استجاب الله عز وجل لهذ الدعاء، وخاطب موسى وهارون فقال لهما:

قال: **﴿لقد أجيبت دعوتكما فاستقيما لى ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾** (يونس: ٨٩).

ترى ما هى الخطوة القادمة؟ ماذا عليه أن يفعل موسى؟

لقد أمر أن يخرج من مصر، وأذن له بالخروج من مصر واصطحاب قومه معه.

والغريب أن بعض قوم موسى كانوا لم يؤمنوا به بعد وقد ذكرهم الله فى آياته فقال عز وجل:

﴿فما آمن لموسى الا ذريّة من قومه على خوف من فرعون وملاءيهم أن يفتتهم، وان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين﴾ (يونس: ٨٣).

لقد انتهى أمر فرعون، وانصرفت مشيئة الله عز وجل أن يوضع حد لجرائم هذا الكافر اللعين، بعد أن استنفدت معه كافة الطرق وخرج من رحمة ربه، صدر الأمر لموسى بالخروج من مصر، واستأذن بنو اسرائيل فرعون فى الخروج الى عيد لهم، فأذن لهم وهو كاره، وتجهزوا للخروج وتأهبوا وحملوا معهم حليهم واستعاروا من حلى المصريين شيئا كثيرا.

ومع دخول الليل خرج بنو اسرائيل يتقدمهم موسى عليه السلام وسار بهم نحو البحر الأحمر قاصدا بلاد الشام.

وما هى الا لحظات حتى التقطت وسائل التجسس الخاصة بفرعون واستخباراته، التقطت أخبار خروج موسى مصطحبا قومه الى بلاد الشام وأنه خرج ليلا.

ثار فرعون ثورة عارمة، وأمر أن يحشد جيش عظيم، من كل المملكة، وقال فى سياق أوامره الثائرة الغاضبة أن موسى غاظه، فقال: ﴿**وانهم لنا**

لغائظون﴾ (الشعراء: ٥٥)، لقد غاظنى موسى، ولا بد من قتاله والقضاء عليه وعلى بنى اسرائيل.. وأعلن ذلك صراحةأمام الناس.

وفى وقت قصير جمع فرعون جيشا ضخما، جاء لمطاردة موسى والقضاء عليه، وخرج جيش فرعون مسرعا، كان المشهد مخيفا مهيبا لكثرة عدد الجند وكثافة السلاح الذى يحملونه فى ذلك الوقت، بينما حمل بنو اسرائيل جزءا من متاعهم وخرجوا خائفين.

بدأت المطاردة العنيفة، فجيش فرعون يجرى بأقصى سرعة، ويطوى الطريق طيّا، فى حين أن موسى وبنى اسرائيل لم يكونوا بهذه السرعة، لكثرة ما حملوا على ظهورهم وأكتافهم من متاع أحبوا أن يحتفظوا بها لأنفسهم، واقترب جيش فرعون من موسى وقومه، وكلما نظر القوم خلفهم هالهم هذا الجيش الضخم.

ومن بعيد.. ثار غبار يدل على أن جيش الفرعون يقترب، واقترب فعلا وظهرت أعلام

الجيش، وامتلأ قوم موسى بالرعب.. لقد كان الموقف حرجا وخطيرا جدا، لقد وجدوا البحر أمامهم والعدو الظالم خلفهم يلاحقهم كى يقضى عليهم وليست أمامهم فرصة واحدة للدفاع عن أنفسهم، انهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين.

لو لحق بهم فرعون فسيذبحهم جميعا، ولن يبقى منهم أحدا.

بدأت الناس تبكى خوفا، ونادت أصوات تقول:

سيدركنا يا موسى.. سيدركنا فرعون.

فقال لهم موسى عليه السلام بهدوء واطمئنان شديد:

﴿كلا.. ان معى ربى سيهدين﴾.

لجأ موسى عليه السلام فى هذه اللحظات الى ربه، اذ لا ملجأ الا اليه سبحانه عز وجل، فتلقى أمرا صريحا ووحيا كاملا بأن يضرب بعصاه البحر.

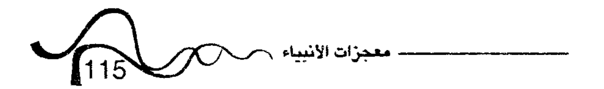
جاء ذلك فى القرآن الكريم فقال عز وجل:

﴿فأتبعوهم مشرقين * فلما ترآ الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا ان معى ربى سيهدين * فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾.

نفذ موسى عليه السلام أمر ربه، ضرب البحر بعصاه فانفلق البحر نصفين، وكانت معجزة هائلة من المعجزات التى منّ الله بها على موسى عليه السلام.

انشق طريق صلب يابس فى وسط البحر وأصبح الموج كالجبل الراسخ عن اليمين وعن اليسار، وتقدّم موسى وقومه فى وسط هذه المعجزة المدهشة، التى كان يجب أن تتعظ بها جيوش الباطل التى تلاحقهم وتطاردهم.

تقدّم موسى وسار بهم عبر البحر، كانت المعجزة هائلة بكل المقاييس. طريق يابس، وسط أمواج من البحر تموج عن يمين وتموج عن شمال ولا تغرق هذا



الطريق الذى انشق فى وسطها، والغريب أن جيش فرعون سوف يتابع المسير خلفهم دون النظر أو الدهشة أو التمعن والاعتبار، كل هذا لم يرد على عقول مغلقة، أغلقها الكفر، فخسرت نور الايمان.

لقد كانت الأمواج تعلو وتهبط وتتصارع فيما بينها ولكنها ما ان تصل الى الطريق المشقوق

وسط البحر حتى تبدو وكأن يدا خفيّة تمنعها من أن تغرق هذا الطريق أو حتى تبلله.

وصل فرعون الى البحر، وشاهد هذه المعجزة، شاهد البحر وقد انشق نصفين، ووجد فيه طريقا يابسا. أحسّ فى البداية بالخوف، ولكنه زاد فى عناده ونسى كل تأمّل وعبرة، وأمر عربته أن تنطلق فى هذا الطريق العجيب، فتقدمت عربته مسرعة تقطع الطريق، ولحقه جيشه القوى الجرّار فى الطريق، واشتدّت المطاردة هنا وهناك، وأصبح الفريقان على مرمى البصر من بعضهما، ولكن موسى وقومه كانوا قد عبروا البحر، قبل فرعون،

وعند خروج آخر فرد من بنى اسرائيل من طريق البحر ووقوفه على الضفة الأخرى، التفت موسى عليه السلام الى البحر وأراد أن يضربه بعصاه ليعود كما كان، ولكن الله عز وجل أوحى الى موسى أن يترك البحر على حاله كما هو.

كان موسى يريد أن يفصل البحر بينه وبين فرعون لينجو بقومه من بطش فرعون، مخافة أن يلحق بهم ويبطش بهم ويعذبهم، ولو أنه ضرب البحر ربما لتغيّرت أحوال لاندرى ما هى ولكنّ الله عز وجل قال له: **﴿واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون﴾** (الدخان: ٢٤).

هكذا شاءت ارادة الله، لقد أراد الله اغراق الفرعون، ولهذا أمر موسى أن يترك البحر على حاله.

ووصل فرعون بجيشه الى منتصف البحر، وتجاوز منتصفه وكاد يصل الى الضفة الأخرى.. وأصدر الله عز وجل أمرا الى جبريل فحرّك الموج. فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه.

وغرق الفرعون وجيشه، غرق مع كفره وعناده "لقد غرق الكفر ونجا الايمان"، وعندما غرق فرعون رأى مقعده فى النار وهو يغرق، لذلك أدرك وقد انكشف عنه الحجاب، أدرك أن موسى عليه السلام كان صادقا أمينا، ولم يكن ساحرا أو كاذبا كما ادّعى عليه أمام جموع الكفار من قومه، أدرك أنه عبد ذليل، ولن يكون فى يوم من الأيام ربّا كما زعم أمام الناس.

دخل فرعون فى سكرات الموت، وأدرك أيضا أنه كان مخطئا عندما حارب موسى عليه السلام وطارده وعاداه وقرّر أن يؤمن فى هذه اللحظة، جاءت هذه اللحظة فى القرآن الكريم فى الآية الكريمة التى تقول:

﴿حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (يونس: ٩٠).

هل قبلت توبة فرعون؟ لا لم تقبل توبته، لأنها جاءت بعد أن أدركه العذاب والموت، وقد قال له

جبريل عليه السلام: ﴿**الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**﴾ (يونس: ٩١).

انتهى الوقت المحدد للتوبة، توبة فرعون، وانتهى الأمر ولا نجاة من الغرق والموت، سينجو جسدك وحده، ستموت وتقذف الأمواج جثتك الى الشاطئ، لتكون آية وعبرة لمن بعدك.

قال عز وجل: ﴿**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية، وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**﴾. (يونس ٢٩).

هذه معجزة البحر مع موسى عليه السلام، انها واحدة من المعجزات العظيمة التى أفاء الله بها على عبده موسى عليه السلام. وما أكثر المعجزات..

العصا والحية

قال تعالى:

﴿**وما تلك بيمينك يا موسى * قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب**

أخرى * قال ألقها يا موسى * فألقاها فاذا هى حيّة تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾. (طه: ١٧-٢١).

١ ـ العصا

كانت العصا معجزة من المعجزات التى انصرفت مشيئة الله تعالى أن تكون كما كانت، وأن تفعل ما فعلت ولكن أهميتها فى نظر موسى عليه السلام كانت محصورة فى شيئين هما على حد قوله: **﴿اتوكأ عليها﴾**، **﴿وأهش بها على غنمى﴾**.

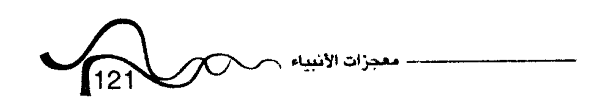
ولكن لأن موسى نبى ولكلام الأنبياء جوامعا قد ينطقون بها، فتنصرف الأحداث بمشيئة الله لتفسيرها، قد قال بعد الأهميتين الاثنتين اللتين ذكرهما: **﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾**.

وعصا موسى لها عدة أسماء ذكرها العلماء، فقيل أن اسمها "ماسا" وقيل اسمها "نفعة"، واسمها "غياث". وقال آخرون: اسمها "عليق" وكان طولها

عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام. العرائس للثعلبى ١٥٦.

وقد ورد عن عصا موسى عليه السلام قصص وحكايات قصيرة، ذكرها المؤرخون وأصحاب كتب السير، ومنها أنه: كان لعصا موسى شعبتان ومحجن فى أسفل الشعبتين وسنان حديديان فى أسفلها، وأن موسى عليه السلام اذا دخل مغارة أو سار فى ليل شديد الظلام، كانت تظىء شعبتاها كالشمعتين من نار تتيران له مد البصر، وأنه كان اذا أعوزه الماء دلاها فى البئر فتمتد على قدر ماء البئر ويصير فى رأسها شبه الدلو فيستسقى بها.. الى آخر هذه الصفات التى لا نريد الخوض فيها كثيرا لأننا لا نعرف مدى صحتها.

ومنها أن العصا كانت تضرب بها الأرض فتخرج طعاما يكفى ليوم موسى عليه السلام، وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق، وكان اذا أراد عبور نهر



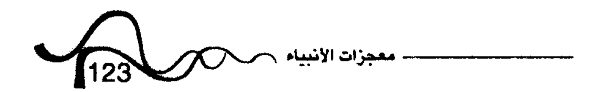
من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق تنفرج..

قضى موسى عليه السلام الأجل الذى حدده له شعيب، تزوّج خلاله ابنته "صفورا"، وقرر الخروج من مدين فسار بأهله، منفصلا عن أرض مدين ببلاد الشام، وكان ذلك فى فصل الشتاء حيث البرد والظلام الشديد، وكانت معه امرأته وأغنامه التى أعطاها له شعيب أجر ما فعل.

وسار موسى عليه السلام فى برّ الشام مبتعدا عن المدن وأماكن العمران مخافة الملوك الذى كانوا بالشام، وكان أكبر همّه عليه السلام يومئذ اخراج أخيه هارون من مصر ان استطاع الى ذلك سبيلا، فسار موسى فى البريّة غير عارف بطرقها، فألجأه السير الى جانب الطور الأيمن الغربى فى عشيّة شاتية شديدة البرد، وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر، وقد كانت زوجته حاملا

فى شـهـرها التـاسع، فـفـاجـأها الطلق والولادة. فـأصـابته حيرة شـديدة خوفـا على زوجته من البـرد والظلام وهى فى هذه الحـالـة، فـبـينمـا هو كـذلك اذ آنس من جـانب الطور نورا فحسبـه نارا، فقـال لأهله: **﴿امكثـوا انى آنست نارا لعلـى آتيكم منهـا بقـبس أو أجد على النار هدى﴾** يقصـد أنه يتمنى أن يجد من يدله على الطريق التى أضلها، فلما أتى النار واقترب منهـا رأى نورا عظيمـا ممتدا من السمـاء الى شـجـرة عظيـمـة هناك، كـان مـوسى قـد دخل واديا يقـال له طوى، لاحظ الصـمت والسكون، والدفء والهـدوء، واقـترب موسى من النار، ومـا كـاد يقـترب منهـا حتى سـمـع صـوتـا ينـاديـه: **﴿أن بورك مـن فى الـنـار ومـن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾** (النمل: ٨).

توقف موسى عن السير فجـأة، وأصـابته رعشـة، شـعـر أن الصـوت يأتى من كل مكان ولا يجـىء من مكان محدد.



نودى موسى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة، ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله عز وجل ينادى: ﴿انى أنا ربك﴾. (طه: ٢١).

وازداد خوف موسى وارتعاشه، فسمع الصوت يقول: **﴿فاخلع نعليك انك بالوادى المقدّس طوى﴾** (طه: ٢١).

فلما سمع ذلك علم أنه ربه، خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كأنه ميّت الا أن روح الحياة تدب فيه من غير حراك، وكان السبب فى أمر الله له بأن تمس راحة قدميه الأرض الطيّبة فتناله بركتها لأنها مقدسة، وقال بعض العلماء أن السبب هو أن الحفوة ، أى أن يمشى الانسان حافيا، فى مكان مقدس أو طاهر تعدّ من أمارات التواضع والاحترام وتهذيب النفس.

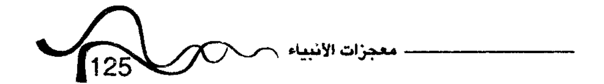
ثم تلقى موسى عليه السلام الوحى الاهى الذى بلغه بأنه نبى مختار من الله عز وجل فقال:

﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى * انّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردّى﴾. (طه: ١٣-١٦).

وجاء درو العصا التى انصرفت مشيئة الله أن تكون معجزة من معجزات موسى عليه السلام، فقد سأل الرحمن الرحيم عبده موسى عليه السلام عن العصا فقال: **﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾**. (طه: ١٧).

أجاب موسى اجابة البشر الذين لهم حدود فى المعرفة، فقال فى حدود المعرفة، فقال فى حدود علمه: **﴿هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى﴾** (طه: ١٨).

الى هذا الحد توقف موسى عليه السلام عن الحديث فهذه حدوده كبشر، والمآرب الأخرى يعرفها موسى عليه السلام، فهو اذا ألقاها فيرى أنها انقلبت



حية كأعظم ما يكون من الثعابين السوداء الضخمة تدب على الأرض، جاء فى وصفها فى كتاب العرائس ص ١٥٦: انها سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فما مفتوحا وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صريف وصرير يخرج منها كلهب النار، وعيناها تلمعان كما يلمع البرق.. وكانت تكون فى عظم الثعبان وفى خفة الجان ولين الحية، وذلك موافق لنص القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى فى موضع: **﴿فاذا هى ثعبان مبين﴾**.

وفى موضع آخر: **﴿كأنها جانّ﴾**.

وفى موضع ثالث: **﴿فاذا حيّة تسعى﴾**.

نعود الى مشهد الحوار بين موسى عليه السلام ورب العزة عز وجل فبعد أن عرف موسى ما بيمينه وقال: **﴿هى عصاى﴾** جاءه الأمر الالهى فجأة يقول: **﴿القها يا موسى﴾**. (طه: ١٩)

رمى موسى عليه السلام العصا من يده، وقد ازدادت دهشته، وفوجىء عليه السلام بما يرى

أمـامـه، فـالعصـا قـد تحـوّلت الى ثعـبان عظيم هـائل الجسم، وراح الثعبان يتـحـرّك بسـرعـة مـخيفـة، ولم يستطع مـوسى أن يقـاوم خوفـه، وأحسّ أن بدنه يهـتز بشـــدة ويرتعش بعنف، وانتــابه شــعـــور بزلـزال من الخوف، فما كان منه الا أن استدار الى الخلف فـزعا وانطلق يجــرى خطوات قليلـة حــتى ناداه ربـه.. كى يثـبّتــه ويطمـئنه قـائلا: **﴿يا مـوسى لا تخف انى لا يخاف لدىّ المرسلون﴾** (النمل: ١٠).

﴿أقبل ولا تخف انك من الآمنين﴾. (القصص ٣١).

توقف مـوسى لحظات واستدار وعاد مكانه خـائفا من الحية التى تتحرك أمامه. كيف يقف موسى عليه السـلام أمـام ثعـبـان ضـخم بدأ يتـحـرّك أمـامـه ويرفـع رأسه ويفتح فمه؟ وعـاد صوت رب العزة يناديه قائلا: **﴿خذها ولا تخف﴾**. (القصص: ٢٣).

كيف يأخذها وهى تتحـرّك؟! لم يسبق لموسى أن أمسك ثعبـانا ضـخمـا كهـذا بين يديه، فهـذا طريق الموت والهـلاك بعينه، من يجـرؤ على ذلك؟ ولكن جاء

التأكيد من الله سبحانه وتعالى والوعد بالاطمئنان وعدم الخوف، قال عز وجلّ: **﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾**.

تردد موسى برهة، وخاف وتلعثم لحظة، وبدأ يقترب بحذر شديد، مدّ موسى يده التى كانت ترتعش، وكان على موسى جبة صوف فلفّ كمّه على يده وهو للثعبان هائب، فنودى أن أخرج يدك، فحسر كمّه عن يده ووضع تحت يده رأسها فلما أدخل يده ولمس الثعبان فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها.

ثم جاء الأمر الالهى مرة أخرى لموسى عليه السلام فقال له: **﴿اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب﴾**. (القصص: ٢٣).

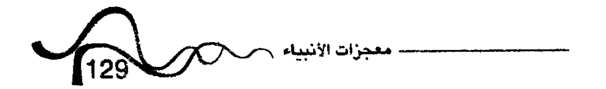
وضع موسى يده فى جيبه وأخرجها فاذا هى تتلألأ كالقمر، يعجز البصر عن النظر الى بريقها الجميل، وقد

زاد ذلك انفعال موسى عليه السلام، فوضع يده على قلبه كما أمره ربه: ﴿**واضمم اليك جناحك من الرهب**﴾.

وضع يده على قلبه كما أمره الله فذهب خوفه وشعر بالطمأنينة، وسكنت أطرافه عن الارتجاف والارتعاش، واستعاد توازنه وأصدر الله عز وجل أمرا بعد أن أراه هاتين المعجزتين بأن يذهب الى فرعون فيدعوه الى الله برفق ولين، فأبدى موسى عليه السلام خوفه وفزعه من فرعون وقال لربه أنه قتل نفسا منهم ويخاف أن يقتلوه. لم يدر موسى عليه السلام أن عصاه هى التى رأى منها المعجزات ستهز بقدرة الله أركان فرعون وملكه كله.

ولذلك ولعدم دراية موسى عليه السلام بما فى الغيب طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام.

طمأن الله نبيّه موسى عليه السلام وقال انه سيكون معهما يسمع ويرى، وأن فرعون رغم جبروته



وسطوته لن يمسّهما بسوء، وعرّف موسى أنه هو الغالب. وقد روت الآيات الكريمة كل ما ذكرناه فى هذا الموقف عن العصا.

قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى * اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودى أن يا موسى * انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى * ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما تلك بيمينك يا موسى * قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا موسى * فألقاها فاذا هى حيّة تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى * واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾ (طه: ٩-٢٢).

٢ ـ فى قصر فرعون

مضى موسى عليه السلام الى مصر، ثم دخل على الطاغية فرعون، فحدّثه عن الله عز وجل وعن فضله ورحمته ورزقه، وحدّثه عن وجوب توحيده وعبادته، حاول أن يدعوه بطريق ليّنة، خاطب فيها وجدانه، ولكن فرعون تكبّر وتجبّر، وذكّر موسى بأن ربّاه وانتشله من النيل طفلا، وذكّره بمقتل القبطى، ثم سأله عن رب العالمين فقال: انه ربى وربك، وجادل فرعون جدالا كثيرا، والعصا فى يد موسى عليه السلام، وبعد أن أنهى موسى كلامه والرد على فرعون، نظر اليه فرعون وقال فى تهديد وعيد: **﴿لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنّك من المسجونين﴾** (الشعراء: ٢٩).

عندئذ أدرك موسى أن الحجج لن تفلح والأمور العقلية لن تحرّك فى هذا الفرعون المغرور المتكبّر ساكنا، فتحسس موسى عليه السلام العصا التى فى

يده، وأدرك أن وقت اظهار المعجزة قد جاء وآن أوانه فقال لفرعون:

﴿أولو جئتك بشىء مبين﴾ (الشعراء: ٣٠).

وكان فى نبرة موسى عليه السلام تحدّ لفرعون، فقبل فرعون التحدى على الفور وقال: **﴿فأت به ان كنت من الصادقين﴾** (الشعراء: ٣١).

عندئذ أمسك موسى بعصاه وألقاها فى صالة القصر وسط ذهول فرعون والوزراء الجالسين حوله، الذين ظنوا أن العصا سقطت منه بسبب ارتباكه من طلب فرعون الدليل على صدقه. وفجأة تحوّلت العصا الى ثعبان مبين، ثعبان هائل يتحرّك بسرعة عظيمة، اتجه الثعبان على الفور الى فرعون، شحب وجه فرعون من الخوف وثبت مكانه فى البداية، وخرج الناس مذعورين منفضين عن مجلسه، وذعر فرعون ثم وثب عن مكانه، وصاح مستنجدا بموسى عليه السلام.

وقف الجميع على جوانب بوابات القصر ينظرون بذعر ويشهدون ما يفعله موسى، فهز موسى يده الى الثعبان فعاد فى يده عصا كما كان.

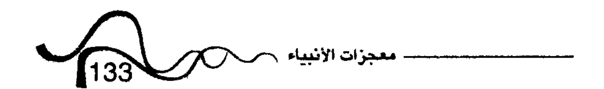
عاد موسى يكشف أمام الواقفين معجزته الثانية، أدخل يده فى جيبه وأخرجها فاذا هى بيضاء كالقمر، فذهل الواقفون فرعون ووزراؤه.

وهكذا استمرّت العصا معجزة من معجزات موسى، ولها مشاهد كثيرة لم تنته بعد.

٣ ـ فى يوم السحرة

ظن فرعون بعد كل ما حدث معه وشهده بنفسه أن أمر موسى وهارون عليهما السلام ضرب من ضروب السحر، وقال لحاشيته: ان موسى ساحر يعرف علم السحر والسحرة، يريد أن يخرجكم به من أرضكم، فماذا تأمرون؟

وقال العلماء قول ابن عباس وأورده الثعلبى فى العرائس:



قال فرعون أيضا لما رأى من سلطان الله تعالى فى يد موسى وعصاه: انى أرى أننا لن نغلب موسى وننتصر عليه الا بمن هو مثله، فأخذنا غلمانا من بين اسرائيل يقال لهم "الغرقاء" يعلمونهم السحر كما يعلمون الصغار فى الكتّاب، فعلموهم سحرا كثيرا، ثم ان فرعون واعد موسى موعدا، وقال له: أنت ساحر يا موسى.. ولقد قررت أن أكشف أمرك أمام الناس جميعا، وبعد أيام قليلة يحضر السحرة.

فقال موسى عليه السلام: ومتى ألتقى بالسحرة؟

قال فرعون: موعدكم يوم الزينة، انه يوم من أيام الربيع يحتفل به الناس جميعا. وسوف يأتى الناس فى ضحى هذا اليوم، هذا هو موعدك يا موسى.

فقال موسى عليه السلام: سأخرج مبكرا من بيتى فى هذا اليوم.

وبعد هذا اللقاء خرج موسى عليه السلام من قصر فرعون، وركب عدد من الرجال مركباتهم

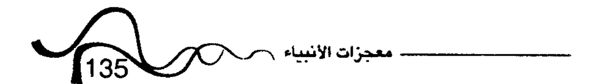
وأسرعوا يتفرقون فى مصر كلها: ان على جميع السحرة الماهرين التوجه الى قصر فرعون لأمر هام. واستدعى فرعون نبى الله موسى وحاول تهديده واخافته ولكن موسى ظل على حاله.

وجاء يوم الزينة، واجتمع السحرة الى فرعون فوعدهم بأجر كبير لو غلبوا موسى عليه السلام.

وخرج الناس جماعات جماعات، أطفالا ونساء، شبابا وشيوخا، جاؤوا ليشهدوا مباراة هى الأولى من نوعها: مباراة بين سحرة فكلهم يظنون أن موسى عليه السلام ساحرا!!

بدأ الناس بأخذ أماكنهم فى الاحتفال منذ الصباح الباكر، ولم يكن أحد فى مصر لم يعرف قصة التحدى واللقاء بين هؤلاء السحرة، ولم يكن أحد يعرف بمعجزة موسى التى ستخرس كل الألسنة، وستجعل من فرعون وسحرته مثالا للكذب والتجنى.

كانت العصا فى يد موسى عليه السلام، وتقدّم السحرة خمسة، عشرة، عشرون ساحرا، وموسى



يقف وحيدا فى ساحة المباراة أو قل ساحة الحرب والصراع بين الحق والباطل، بين الصدق والكذب، بين التواضع وبين الكبر والافتراء، انها معركة بين الكفر والايمان كفر فرعون وسحرته وأيمان موسى عليه السلام ومعجزته.

جلس فرعون تحت مظلة واقية من الشمس، ومن حوله جنوده وحاشيته وقادته وهو يرتدى أفخم الثياب المرصّعة بالجواهر، أما موسى عليه السلام فوقف صامتا يذكر الله فى نفسه ولا ينظر لشىء حوله.

وتقدّم السحرة الى موسى عليه السلام وسط الجمع الهائل الذين استجمعوا كل حواسهم لرؤية وسماع ما سيحدث.

قال السحرة لموسى: **﴿امّا أن تلقى وامّا أن نكون أوّل من ألقى﴾**.

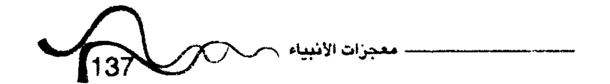
قال موسى عليه السلام: بل ألقوا.

فقال السحرة: نحن الغالبون بعزة فرعون.

فقال موسى: ويلكم، لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب أليم.

فى هذه اللحظة، التفت موسى فاذا جبريل على يمينه يقول له: يا موسى ترفق بأولياء الله، قال موسى لنفسه: هؤلاء سحرة جاؤوا ينصرون دين فرعون، عاد جبريل يقول: ترفّق بأولياء الله، هم من الساعة الى صلاة العصر عندك..، وبعد صلاة العصر فى الجنة.

وهؤلاء السحرة اختلف فى عددهم فقال كعب: انهم كانوا اثنى عشر ألفا. وقال عالم آخر: بضعة وثلاثين. وقال عكرمة: سبعين ألفا. وقد أجمعت الأقاويل على أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر، ثم اختار سبعمائة ثم اختار سبعين من كبارهم وعلمائهم، وكان رئيسهم يسمّى شمعون، وقيل



يوحنّا وقيل ان أعلم السحرة كانا بأقصى الصعيد وكانا أخوين.

نعود الى ساحة المباراة: لما قال لهم موسى عليه السلام: **﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾** فتناجى السحرة فيما بينهم، فقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قول الله تعالى: **﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النّجوى﴾** فقال السحرة: **﴿فلنأتينّك بسحر مثله﴾**.

رمى السحرة بعصيّهم وحبالهم، فاذا المكان يمتلىء بالثعابين والحيّات التى تجرى هنا وهناك فجأة لقد سحروا أعين الناس، واسترهبوهم وأخافوهم وجاؤوا بسحر عظيم، وهلّل المصريون مكان الاحتفال، وابتسم فرعون ابتسامة عريضة وظنّ أنه قضى على موسى عليه السلام.

نظر موسى الى حبالهم وعصيّهم فشعر بالخوف، وكذلك هارون الواقف الى جواره، ولكنه سرعان ما

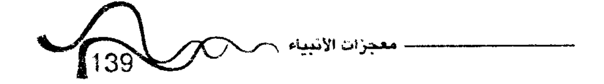
سـمع صـوتا يقـول له: ﴿**لا تخف انك أنت الأعلى * وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى**﴾.

اطمـأن نبى الله مـوسى حـين سـمع رب العـالمين يطمـئنه، ولم يعـد يرتكب أو ترتعش يداه، ثم رفع عصاه وألقاها فجأة.

ولم تكد عـصا موسى عليـه السـلام تلامس الأرض حتى وقعت المعجزة، فقد تحوّلت الى ثعبان جبار سريع الحركة، وتقدّم هذا الثعبان فجأة نحو حبال السحرة وعصيّهم التى كانت تتحرّك وبدأ بأكلها واحدا بعد آخر.

راحت عـصا مـوسى عليـه السـلام تـأكل حـبـال السحرة وعصيّهم بسرعة مخيفة.

وفى دقائق معدودات خلت سـاحة المبـاراة تماما من كل حبال السحرة وعصيّهم، لقد اختفت فى بطن عصا موسى، ومشى الثعبان الضخم فى أدب نحو موسى، ومدّ موسى يده فتحوّل الثعبان الى عصا.



أدرك السحرة أن هذا ليس سحرا، لعلمهم بالسحر وعلومه.

وكانت المفاجأة الكبرى: لقد سجد السحرة جميعا على الأرض وقالوا: **﴿آمنّا برب العالمين ربّ موسى وهارون﴾**.

انها المعجزة التى تولّد معها الايمان بالله عز وجل.. ولكن لم ينتهى دور العصا بعد.

٥ ـ عند البحر

استمر الصراع بين الحق والباطل، وبين موسى عليه السلام وفرعون الكافر، وقرر فرعون ومن معه من الناس قتل موسى وأتباعه، وعلم موسى بذلك فصحب أتباعه ليلا وسار بهم نحو البحر قاصدا بلاد الشام، وعلم فرعون بذلك فحشد جيشا ضخما، وتحرّك جيش فرعون فى أبّهته وعظمته وسلاحه وخرج وراء موسى.

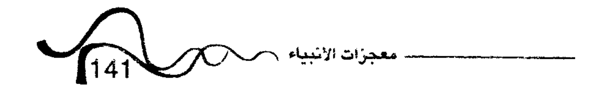
ومضى الجيش مسرعا يثير غبارا شديدا وموسى ينظر خلفه فيرى غبار الجيش يطارده، فامتلأ قوم

موسى رعبا، وكان الموقف حرجا وخطيرا، فالبحر أمامهم والعدو وراءهم ولا مكان للهرب، ولا توجد لديهم القدرة على القتال والحرب، وقالت النسوة وبعض الرجال: سيدركنا فرعون بجيشه.. سيهلكنا جميعا، ولكن موسى عليه السلام قال:كلا.. ان معى ربى سيهدين.

تحسّس موسى عصاه مطمئنا.. طوّحها فى الهواء وضرب بها البحر فانفلق الى جزئين، كل منهما كالطود العظيم، وتقدّم موسى فى الطريق الجديد وسط البحر وتبعه فرعون.

وانتهى موسى من عبور البحر، فنظر وراءه وأراد أن يضرب بعصاه ولكن الله أوحى اليه بأن يترك البحر على حاله وينتظر حتى يدخل كل جنود الكفر فى الطريق وسط البحر: ﴿واترك البحر رهوا، انهم جند مغرقون﴾. الدخان ٢٤ ـ

ولما أذن الله تعالى، ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه ثانية، فعاد البحر كسالف عهده،

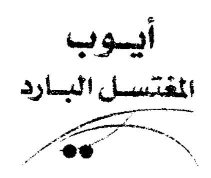


وانهالت الأمواج على فرعون وجنوده، ولما أدرك الغرق فرعون قال: ﴿آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين﴾. يونس , ٩٠

ولكن الله لم يقبل توبته لأنها جاءت متأخرة، فقد عاش فى الأرض فسادا وكبرا، فكان من المغرقين.

■ ■ ■

أيــوب
المغتســل البــارد

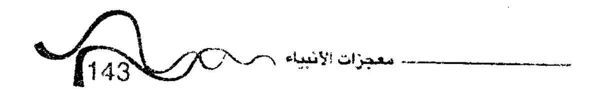


قـال تعـالى: ﴿واذكـر عـبـدنا أيوب اذ نـادى ربه أنى مـسنى الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ (ص ٤١ ـ ٤٢).

١ ـ المغتسل البارد

ذكـر المؤرخـون روايات كـثـيـرة عن أيوب، وكـذلك المفسـرون.. وأيوب هو نبى الله من نسل ابراهيم عليه السـلام، وقـد تزوج من ذرية يوسف بن يعـقـوب فـتـاة اسمها رحمة كانت مثله صلاحا وتقوى، جازت زوجها فى عـبـادته لله عـز وجل، وفى حـمـده وشكره له ، وفى تقربه اليه.

وقـد اشـتـهـر أيوب بين الناس بـالصـبـر، وقـصـتـه مشهورة، ولنبدأ مع أيوب الغنى، فقد كـان رجلا غنيا،



ذا مـال كـثيـر، بـسط الله له الرزق، وافـسح لـه طريق الثراء، حتى كان يملك قرية كاملة فى دمشق تسمى "البثنية" وهى قرية تقع بين دمشق وأذرعات، ويملك ما فيها من مزارع خضراء منبسطة فسيحة، وله فيها بساتين مزهرة، وله بها منشآت وديار.

كانت الأبقار والشياه الحلوب، ترتع فى مزارعه، وتنيخ فى مرابضه الابل الخفاف، والنياق الولود، وتسرح بأرضه الخيل والبغال والحمير.

ولقد أفاض الله برزقه على عبده الصالح أيوب ففوق ما رزقه من نعمة المال، رزقه نعمة أخرى جزيلة محبوبة، تلك نعمة الأولاد كم البنات والبنين.

فقد كمل له بذلك ما تمنّاه كل امرئ لنفسه من متع الدنيا ورفاهية الحياة، ولذاذة العيش، ونضرة النعيم.

فـهل كـان أيوب بما أعطاه الله من نعم الدنيا وبهجة الحياة منعما مرفها، ينعم بجاه المال ويهنأ

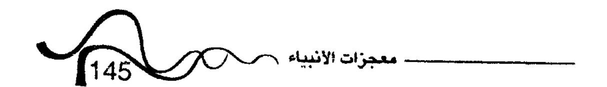
بخلف من البنين والبنات، ونسى كل ما عداه؟ والحق يقال عكس ذلك، فلم يكن أيوب كذلك، فلم يبخل على نفسه وعياله، وكان لا يحب كنز المال.

كان أيوب ذا مال، ولكن كانت أمواله لمن حوله قبل ان تكون لنفسه، وكان منها زكاة وهبات وعطايا كان برا بكل من حوله! يرعى غلمانه وخدمه قبل أن يرعى أهله، فلكل رجل من أتباعه زوجة ودار ومتاع، ولكل غلام مدّخر من المال.

وكان لا يطعم طعاما وهو يعلم بمكان جائع يشتهى الطعام!

وكان لسانه لا يكف عن ذكر الله والحمد والتسبيح لربه ولا يفتر جنانه عن التفكير فى الله عز وجل.

وتحدث الناس عن أيوب، ولهجت ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه، وعمرت قلوبهم بحبه والاخلاص له! وكذلك أهل السماء من الملائكة ذكروا أيوب ذكرا حسنا.



كل هذا أغاظ ابليس، كثرة ذكر أيوب والثناء عليه، وابليس أقسم أن يغوى البشر أجمعين، وبسبب ذلك طرده ربه من الجنة جزاء عصيانه، فقال كلمته المعروفة: رب، بما أغويتنى وطردتنى بسبب آدم لأزينن لذريته فى الأرض، ولأغوينهم أجمعين.

واستطرد ابليس قائلا: الا عبادك المخلصين.

وكان أيوب عليه السلام من عباده المخلصين.

وكانت محنة أيوب وقصة مرضه المشهورة هى محنته، ولعل أشهر ما ذكر عن هذه المحنة كانت هذه القصة التى جاء فيها:

تحدّث الملائكة، ملائكة الأرض فيما بينهم عن الخلق وعبادتهم، قال قائل منهم:

ما على الأرض اليوم خير من أيوب، هو أعظم المؤمنين ايمانا، وأكثرهم عبادة لله، وشكرا لنعمته ودعوة له.

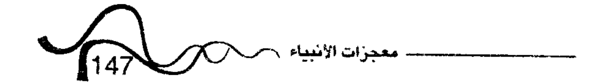
وسمع الشيطان ما يقال... فساءه ذلك، وطار الى أيوب محاولا اغواءه، ولكن أيوب بقى، قلبه هو الصفاء لله والحب لله.

وقد كان أيوب عليه السلام محصنا بايمانه ضد وسوسة الشيطان، فما استطاع ابليس أن يغريه بشىء مما يغرى به الأغنياء! وما قدر على أن يدفع به الى ما كان يدفع اليه أمثاله من الأثرياء!!

حاول ابليس عن طريق شياطين البشر أن يحرّض أيوب على ارتكاب المعاصى، فأتاه بشرذمة من الناس يزيّنون له اللهو والمجون والمتعة المحرّمة، ويدعونه الى ترك التقشف، والى التهاون فى العبادة لينعم نفسه بمباهج الدنيا، ويمتعها بما أوتى من نعم وجاه ومال.

ولكن قلب أيوب كان تقيّا نقيّا، فلم يستجب لما زيّن له؛ وكانت نفسه مؤمنة ورعة، فلم تسمع ما دعيت اليه.

كانت متعة أيوب عليه السلام تكمن فى أشياء كثيرة، كانت متعته فى أن يكفل أيتاما مات عنهم



عـائلهم، وكـانت بهـجـتـه فى أن يسـاعـد بمالـه أرملة ذهب عنهـا رجلهـا، أو فقـيـر أضرّ به فـقـره، أو عاجـزا أقـعده عـجـزه، فـيـشـعـر بالسـعـادة لسـعـادتهم ويهنأ لهنائهم، ويشكر الله على أن هيأ له كل هذه السـعـادة وكل هذا الهناء.

وطال الأمـد بابليس دون أن يستطيع الوصـول الى غايته من استمالة أيوب ببـلاء لم يكن منتظرا، سرّ له ابليس وفرح فـعاود مع أيوب نشاطه من جـديد، ونعود الى أشهر رواية عن أيوب ومحنته فنقول:

حـين يئس الشـيطان من اغـواء أيوب، قـال لله تعالى:

يا رب ان عبـدك أيوب الذى يعبـدك ويقـدسك لا يعبدك حبا، وانما يعبدك لأغراض.

يعبـدك ثمنا لما منحتـه من مال وبنين، وما أعطيته من ثروة وعـقـار، وهو يطمـع أن تحـفـظ عليـه مـاله وثراءه وأولاده، وكـأن النعم العـديدة التى منحـتهـا له

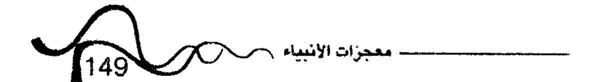
هى السر فى عبادته، انه يخاف أن يمسها الفناء أو تزول.. وعلى ذلك فعبادته مشوبة بالرغبة والرهبة، يشيع فيها الخوف والطمع.. وليست عبادة خالصة ولا حبا خالصا.

وقد ذكرت الرواية أن الله تعالى قال لابليس:

ان أيوب عبد مؤمن خالص الايمان.. وليكون أيوب قبسا من الايمان ومثالا عاليا فى الصبر.. قد أبحتك ماله وعقاره.. افعل ما تريد، ثم انظر الى ما تنتهى.

وهكذا انطلقت الشياطين فأتت على أرض أيوب وأملاكه وزروعه ونعمه ودمّرتها جميعا.. وانحدر أيوب من قمة الثراء الى حضيض الفقر فجأة.. وانتظر الشيطان أيوب.. وقال أيوب عليه السلام عن المال:

عارية لله استردها.. ووديعة كانت عندنا فأخذها. نعمنا بها دهرا، فالحمد لله على ما أنعم،



وسلبنا اياها اليوم، فله الحمد معطيا وسالبا، راضيا وساخطا، نافعا وضارا، وهو الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويضر من يشاء، ويذل من يشاء، ثم خرّ أيوب عليه السلام ساجدا وترك ابليس وسط دهشته المخزية.

وعاد الشيطان يقول لله تعالى:

يا رب.. اذا كان أيوب لم يقابل النعمة الا بالحمد، والمصيبة الا بالصبر، فليس ذلك الا اعتدادا بما لديه من أولاد.. انه يطمع أن يشتدّ بهم ظهره ويسترد بهم ثروته.

وتستطرد الرواية فتقول: ان الله أباح للشيطان أولاد أيوب.. فزلزل عليهم البيت الذى يسكنون فيه فقتلهم جميعا. أنبياء الله لأحمد بهجت ص ١٧١ ـ

وهنا قال أيوب داعيا ربه:

الله أعطى.. والله أخذ.. فله الحمد معطيا وسالبا، ساخطا وراضيا، نافعا وضارا.

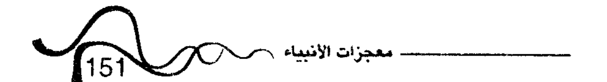
ثم خرّ أيوب عليه السلام ساجدا وترك ابليس وسط دهشته المخزية.

وعاد ابليس يدعو الله، أن أيوب لم يزل صابرا لأنه معافى فى بدنه، ولو أنك سلطتنى يا رب على بدنه.. فسوف تكف عن صبره.

وتقول الرواية أن الله أباح جسد أيوب للشيطان يتصرف فيه كيف يشاء.. فضرب الشيطان جسد أيوب من رأسه حتى قدميه، فمرض أيوب مرضا جلديا راح لحمه يتساقط ويتقيّح.. حتى هجره الأهل والأصحاب.. ولم يعد معه الا زوجته..

ومرت الأيام، وتتابعت الشهور، وأيوب تزداد حالته سوءا، حتى لم يعد يستطيع أحد أن يقترب منه لعفن قروحه، ونتن رائحتها، فبرم الناس به، ونفروا منه، وانقطعوا عن زيارته، وتذمّر آهله من جيرته وظلت زوجته هى الوحيدة التى تخدمه، وتقضى له حاجاته.

ومرت السنون وأهل أيوب لا يستطيعون على جيرته صبرا، ولا يحتملون له قربا، وجهروا



باستيائهم، وأظهروا تذمّرهم بالأقوال والأفعال، فلم تجد رحمة بدا من أن تعرش لزوجها عريشا فى ظاهر المدينة وتنقله اليه.

وانتقل أيوب عليه السلام الذى كان يملك الضياع، ويسكن القصور الى عريش من القش على قارعة الطريق، ورغم ذلك لم يتركه الناس لحاله، بل كانوا اذا مرّوا عليه أظهروا تذمرهم، وأبدوا تأففهم. وقالوا: لو كان رب هذا له حاجة فيه لما فعل به ذلك.

وهكذا ظل أيوب تمر عليه السنة تلو السنة وهو جسد ملقى فى عريشه لا يصدر عنه حركة الا حركة لسانه فى فمه بذكر الله، ولا يسمع منه الا صوت يردد اسم الله.

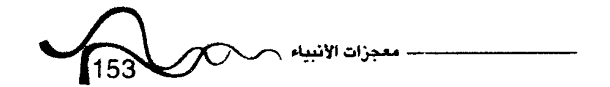
كانت رحمة زوجة أيوب تقوم بخدمة الناس لتكسب لها ولأيوب من طعامهما، وما يقوم بأودهما. ثم تعود اليه فى نهاية اليوم بما تيسر لها الحصول عليه من طعام تطعمه وتسقيه، وتقضى الليل بجانبه؛ فاذا أصبح الصباح عاودت ما فعلته بالأمس.

ولكن هذ الحالة لم تدم لاشمئزاز الناس الذين كانت تقوم بخدمتهم، لعلمهم أنها تقوم على خدمة أيوب المبتلى، وعلى غسل جروحه وتضميد قروحه، فأظهروا لها الامتعاض من خدمتها لهم، ثم طردوها من خدمتهم.

فأصبحت "رحمة" بلا عمل وسدّت منافذ الكسب في وجه رحمة!

وفكرت رحمة وهداها تفكيرها الى أن تذهب مع الصباح الى سوق في ظاهر المدينة، ويدها قابضة على حزمة ملفوف بها شيء يبدو أنها تحرص عليه، وتعول من ورائه على خير كثير.

وبلغت رحمة السوق، واتجهت الى الجانب الذى تعرض فيه حاجات النساء من زينة وعطر وملبس، وفتحت لفافتها بيد مرتعشة، وجلست مع البائعات، وكانت بضاعتها ضفيرة من الخيوط الذهبية الطويلة الناعمة، كانت بالأمس نصف شعرها، فباعتها الى أحد النساء وأخذت ثمنها.



وابتاعت رحمة بثمن شعرها طعاما وشرابا، وعادت الى زوجها تطعمه وتسقيه، فقد كانت برّة وفية بزوجها.

وبعد أن نفد ثمن شعرها ما بقى لها شىء تبيعه.

ولكن أيوب كان على صلابته وقوته، ويئس الشيطان فكر فى رحمة فذهب اليها وملأ قلبها باليأس حتى ذهبت الى أيوب تقول له:

حتى متى يعذبك الله، أن المال والعيال والصديق والرفيق، أين شبابك الذاهب وعزك القديم؟

وأجاب أيوب امرأته: لقد سوّل لك الشيطان أمرا.. أتراك تبكين على غرفات وولد مات؟

قالت: لماذا لا تدعو الله أن يزيح بلواك ويشفيك ويكشف حزنك؟

قال أيوب: كم مكثنا فى الرخاء؟!!

قال رحمة: ثمانين سنة.

قال أيوب: كم لبثنا فى البلاء والمرض؟

قالت سبع سنين.

قال: أستحى أن أطلب من الله رفع بلائى، وما قضيت فيه مدّة رخائى.

لقد بدأ ايمانك يضعف يا رحمة، وضاق بقضاء الله قلبك.. لئن برئت وعادت الىّ القوة لأضربنّك مئة عصا.. وحرام بعد اليوم أن آكل طعاما من يديك أو أشرب شرابا أو أكلفك أمرا.. فاذهبى عنى.

وذهبت عنه زوجته وبقى أيوب جسدا صابرا وحيدا، يحتمل ما لا تحتمله الجبال.. وأخيرا فزع أيوب الى الله داعيا متحننا لا متبرما، ودعا الله أن يشفيه.

٢ـ المعجزة

ماذا قال أيوب فى دعائه يا ترى؟ لقد قال القرآن الكريم أن أيوب نادى ربه فقال: **﴿أنى مسنى الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾** (الأنبياء: ٨٣)

وجاءت الاستجابة سريعة من الله عز وجل، ونزل وحى الله على أيوب: **﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾**.

وضرب أيوب الأرض برجله الضعيفة كما أمره الله، فانفجرت عيون من ماء عذب زلال بارد وصاف، فاغتسل أيوب بماء احدى هذه العيون التى فجرها له الله سبحانه عز وجل، فاذا بجلده الدامى المتقرّح يصبح سليما نظيفا جميلا، وشرب أيوب من ماء عين أخرى، فاذا به سليم معافى، قد سرت فى جسمه القوّة، ودبّ النشاط..!!

وكانت احدى معجزات الله القادر على كل شىء الذى يقول للشىء كن فيكون.

وجلس أيوب وقد استردّ صحته، وعافيته، ورونقه وجماله، فى حلة قشيبة من عند الله، فشكر الله على ما ابتلاه، وعلى ما أنعم به عليه.

وكان قد أقسم أن يضرب امرأته مائة ضربة بالعصا عندما يشفى، وها هو قد شفى، وكان الله

سبحانه وتعالى يعرف أنه لا يقصد ضرب امرأته، ولكى لا يرجع عن يمينه أو يكذب فيها أمره الله أن يجمع حزمة من أعواد الريحان عددها مائة، ويضرب بها امرأته ضربة واحدة، وبذلك يكون برّ فى قسمه ولم يكذب.

رحم الله أيوب العبد الصابر.

﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث، انا وجدناه صابرا، نعم العبد انه أوّاب﴾.

■ ■ ■



■ أيوب.. المغتسل البارد 143

